Tel.: 2741235-2741272 MAJALLAH RNI No.(U.P. ARA/2000/2341)
Fax : 0522-2741221-2741231 Regd. No. LW-NP/64/2003 To 2005

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Vol.50.Issue-3) JANUARY 2005

إصدارات جديدة :

إلى لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

تمزق العمل الإسلامي

بين ضجيج الشعارات واضطراب الخطوات

بقلم : الدكتور عدنان على رضا محمد النحوي

الناشر :

دار النحوي للنشر والتوزيع

ص.ب. ١٨٩١ الرياض ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية

Printed and Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafa-wa-Nashriyat (Dept. of Journalism and Publicity) Nadwatul Ulama at Parekh Printing Press, Tagore Marg, Lucknow, U.P

مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء لكناؤ، الهند

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلّة اسلاميّة شهريّة جامعة

العدد الرابع : ذوالحجة ١٤٢٥هـ، يناير و فبراير ٢٠٠٥م

المجلد الخمسون

في هذا العدد

سماحة الشيخ الندوي: يخاطب طلبة العلم
وقفات مع كتاب : تنصير المسلمين
الريادة العلمية عند المسلمين
إسلامنا بين رفض الأعداء و إهمال الأصدقاء!
الحجاج في منى فرصة متاحة من الله تعالىٰ للعالم الإسلامي
دور الإسلام في تطوير الطبيعة العلمية
من لا يحل له الأخذ من الزكاة
علم مقاصد الشريعة
هل يعود العالم إلى القرون الوسطى
طلعت كالر بيع أنفاسها المسك

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء ص.ب ٩٣، لكناؤ (الهند)
Albaas-el-Islami Nadwatul Ulama, P.O.Box 93, Lucknow U.P. (India)

بسم الله الرحمن الرحيم

انشاها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي واضح رشيد الندوي

العدد الرابع : ذو الحجة ١٤٢٥هـ - يناير و فبراير ٢٠٠٥م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي رح)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph.: 0522-2741235

المجلد الخمسون

العبقري المطلوب !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة و الزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام .

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- في الهند
مائتا روبية ٢٠٠/٠٠
ثمن النسخة : ٢٠/روبية
- في العالم العربي
وفي جميع دول العالم :
٣٥/دولارا بالبريد العادي
و ٤٠/دولارا بالبريد الجوي

***

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي" (ALBAAS-EL-ISLAMI)

و ذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ،
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O.Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin : 226 007 (INDIA)

***

محتويات العدد

سماحة الشيخ الندوي يخاطب طلبة العلم ! — الأخ عبد الرشيد الندوى — ٣

الافتتاحية

إسلامنا بين رفض الأعداء وإهمال الأصدقاء ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

التوجيه الإسلامي

وقفات مع كتاب : تنصير المسلمين — د/محمد بن سعد الشويعر — ١٠

الريادة العلمية عند المسلمين — أ.د.محمد السيد علي بلاسي — ١٦

الدعوة الإسلامية

وقفة الحجاج في منى فرصة متاحة من الله تعالى للعالم الإسلامي — ترجمة : د/السيد إحسان الحق الندوي — ٢٤

دور الإسلام في تطوير الطبيعة العلمية — ترجمة : عطاء الأعظمي — الأستاذ ظهير النبي — ٣٠

الفقه الإسلامي

من لا يحل له الأخذ من الزكاة — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٣٥

علم مقاصد الشريعة — الأستاذ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي — ٤٣

دراسات و أبحاث

ملامح إسلامية في شعر شوقي ! — الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي — ٥٣

فلسطين أرض موعودة أم أرض مغتصبة ؟! — الأستاذ محمد غياث الدين حافظ عبد الله — ٦٤

جغرافية الأجرام السماوية — فضيلة العلامة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي — ٧٧

صور و أوضاع

هل يعود العالم إلى القرون الوسطى — الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٨

في حديقة الشعر

طلعت كالربيع أنفاسها المسك — د/عدنان علي رضا النحوي — ٩٥

إصدارات حديثة في الأدب الإسلامي

١- المسحة الأدبية في كتابات سماحة العلامة الندوي رحمه الله — قلم التحرير — ٩٧

٢- أقلام واعدة — " " " — ٩٨

إلى رحمة الله تعالى

الدكتور نثار أحمد الفاروقي في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٩

سماحة الشيخ الندوي يخاطب طلبة العلم

تلخيص وترجمة
لإحدى خطبه بالأردوية
بقلم : الأخ عبد الرشيد الندوي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

هنيئاً لكم طلب العلم والاستمرار في سبيله والمضيّ في طريقه قُدُماً من غير احتفال بحدثان الدهر ونوائب الزمن ، ومن غير أن تفتّ العوائق في أعضادكم وتصدّكم عن المقصد الجليل والهدف النبيل . لقد أراد الله سبحانه وتعالى خيراً بمن نظمه بسلك هذا العلم النوراني وضمه إلى هذا الركب الميمون ، وسجّلوا عني واعلموا : أن القرآن العظيم والتدبر فيه أعظم نعمة وأنبل غاية ينبغي أن يتركز عليها اهتمامكم ، حينما كان الأخ المقرئ يتلو الآيات ما زلت في كيفية غريبة ملكت على المشاعر والوجدانُ ؛ وهي أنه ما لهذا الإنسان الذي خلق من ماءٍ مهين ! كيف أسعد به الحظ فخصّه الله تعالى بخطابه ومكّنه من فهم كلامه والغوص في أعماقه وتفهم أسراره ، يا سعادة الجد ويا حسن الحظ !! ما باله لا يهتزّ فرحاً وطرباً وقد اختص بهذه الكرامة ، فلو أن امرءاً جُنّ من هذه السعادة هياماً وغراماً لما كان ذلك عندي غريباً ، هلا تذكرون قصّة الصحابي الجليل أبي بن كعب ﷺ ، كيف كان حاله لما قال له رسول الله ﷺ : "إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك : لم يكن الذين كفروا ، قال : وسمّاني !! فجعل أبي يبكي" (حديث متفق عليه عن أنس) .

انظروا : كيف اعترته هزة من السرور وغشيته موجة من الشوق حتى هلجته على البكاء ، يا سبحان الله ! هذا هو الولع الصادق والحب الغامر المتغلغل في الأحشاء ، وقد فقدناه فيما فقدنا ، فصدّقوا أيها الأبناء إن لو لم تغنموا ببذل جهود مكثفة وتقديم وتضحيات جبارة إلا هذا الغنم لكانت تجارتكم رابحة ولكنتم فزتم بنعمة لا تعدلها نعمة ولذة لا تقاس بشيء من لذات الدنيا .

فلكي تحظوا بحقيقة العلم وكنهه ينبغي أن تعرفوا الشروط

والمواصفات التي يتطلبها، فلتعمر قلوبكم بالشكر والامتنان وتلهج ألسنتكم بالحمد والثناء على المولى الكريم على من اختار لكم منهج الأنبياء والأولياء وسلك بكم هذه المحجة البيضاء التي يسعى فيها بين أيديكم نور النبوة؛ كما ينبغي أن تصوغوا أنفسكم في المصاغ الديني الجميل وتصهروها في القالب الإسلامي الصحيح، واعلموا أن لكل شئ مقتضيات، ومن مقتضيات العلم: المواظبة على الفرائض، والتبكير إلى المساجد، والسعي إلى ذكر الله، وانتظار الصلوات، والرغبة في الدعاء والإلحاح فيه، والخشوع، والإخبات إلى الله على سبيل المثال، ويُطلب منكم أن ترتاضوا بالأخلاق الكريمة وتتحلوا بالشيم الرضيّة من الزهد وغنى النفس، والإيثار، والسماحة، والتسامي على الشهوات، وما إليها من الصفات، ولا تهملوا مع ذلك شأن الآداب الظاهرة بل لابد أن تنصبغ حياتكم بالصبغة الدينية ويتجلى على شارتكم وهيئتكم وزيكم لون ثابت من التقوى والورع والتدين، مما كان يتميز به السلف الصالح الذين ساروا على هذا الدرب.

والله ما الفقر أخشى عليكم بعد تعلّم العلم، ولكن أخشى عليكم أن تبدلوا نعمة الله كفراً فتقعوا في الهوان والذل والانتكاس، وأما إن شكرتم فإن الله ﷻ ليبارك فيكم ويضاعف لكم العلم ويزيدكم في النعم والمواهب، فقد قال عزّ من قائل: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ * وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ * إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾.

اسمعوها مني صريحة: تبيّنوا المقاصد والأهداف التي ترمون إليها واعرفوا المكانة التي تحلونها، واجعلوا نصب أعينكم الغاية الوحيدة غاية العلم، فجّروا الطاقات، ونمّوا المواهب والكفاءات، وامضوا في سبيل العلم قدماً، ولا تلتفتوا ذات اليمين وذات الشمال، سيحالفكم التوفيق بإذن الله ويرافقكم الفوز والفلاح وتأتي إليكم الدنيا صاغرة راغمة، وسوف يبيّض تعالى وجوهنا يوم نقوم بين يديه: ﴿ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله تعالى على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية:

إسلامنا بين رفض الأعداء وإهمال الأصدقاء!

يعاني الإنسان في ظلال الحضارات الحديثة اليوم من الشقاء والعناء ما لم يوجد له نظير في الحضارات البائدة، فقد سال الدم الإنساني رخيصاً من غير هوادة. ودون أن تكون له قيمة في سوق الحضارات، وطغت المصالح الذاتية الموقتة على المروءة والأخلاق والسلوكيات، وحالت الدبلوماسية الحقيرة ضد الحقوق الإنسانية والشرعية العادلة، ولم يعد لأشرف الخلق تلك المكانة العالية التي بلغت به إلى مرتبة الخلافة في الأرض، وخلعت عليه لباس العزة والكرامة، وذلك بواسطة الدين الذي يربطه بالخالق، ويفرض عليه العمل الذي يؤديه إلى مرضاته ويوطّد علاقته بربه تعالى، ويثبته على الطريق، فقد قام جميع الأنبياء والرسل في عهودهم المختلفة بدعوة أتباعهم إلى الدين و واجباته، والخضوع أمام رب العالمين، ولقد بعث الله تعالى في الأخير خاتم النبيين محمداً ﷺ الذي ختم به النبوة ومنحه ديناً كاملاً خالداً وشاملاً يشمل الحياة بأسرها ويغطي جميع شئونها وينظمها تنظيماً دقيقاً بغاية من الاتزان، وذلك هو الإسلام الذي امتن الله تعالى به على الأمة الإسلامية؛ وقال: ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ * وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي * وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾.

ولا غرو فإن الإسلام بتعاليمه الواضحة التي تتفق وطبيعة الإسلام ، وشريعته العادلة التي تشرف على إيجاد التوازن الحقيقي في جميع مجالات الحياة ، وإبقائه من غير اختلال فيه ، إنما هو المنهج السماوي للحياة الذي قام بتقويم كل عوج ، و إصلاح كل خلل كان معاشاً وسائداً في المجتمعات التي سبقت الإسلام ، فمن المعلوم أن الناس كانوا يعيشون أدواءً خلقية كثيرة ، ولم يكن هناك أي تصور للقيم الأخلاقية وللسلوكيات الرفيعة ، رغم وجود حضارات إنسانية ، شرقيّ العالم وغربيّه ، تتسابق فيما بينها في الفضوليات و وسائل التنعم والبذخ ، حتى توزع الإنسان بين طبقات متعددة ، واتسعت الفجوة بين الغني والفقير ، وبين الحاكم والرعية ، فزادت الأمراض النفسية وتأصلت جذورها في النفوس ، نتيجة لذلك تجسّدت العداوة في جميع الطبقات وانتشرت كالوباء المحتوم الذي كان يهدد بنهاية أليمة للعالم البشري ، ولكن الله سبحانه قضى بإنقاذه من المصير المؤلم المشئوم ، وذلك ما يمنّ به الله تعالى على الناس ؛ فيقول : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ * إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً * فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ * فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا * وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ * فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ .

ومن ثمّ كان الإسلام ضالة الأمم والشعوب ، وكان الطريق إلى الحب والسعادة ، والاجتماعية الصادقة التي كانت مفقودة منذ أمد بعيد ، فتتابع الناس أفواجاً يدخلون في دين الله ويجدون فيه كل ما قد فقدوه من الأمن والهدوء والطمأنينة والسلم والسلام ، وفجاءة ارتفع مستوى حياتهم وخرجوا من ظلمات الكفر والبغض والعداوة والسآمة إلى نور الإيمان والحب والأخوة والانفتاح إلى عالم إنساني أوسع وأفضل ، ولنا في قصص المهتدين إلى الإسلام

من فجر التاريخ الإسلامي إلى الآن شهادات أدلوا بها أمام الأشهاد ، وتحدثوا عن النعمة التي حُرموها طوال المدة التي قضوها في غياهب الجهل والشرك ، وكيف أحسوا بلذة الحياة و وجدوا أنفسهم في كنف من العقيدة التي تحرسهم على طول الخط من جميع الشرور والفتن ، وتفتح لهم الطريق الواسع لممارسة النشاطات العملية والفكرية لأداء الحقوق والواجبات التي تعود إليهم من خلال علاقتهم بالله تعالى وصلتهم بالناس : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا * لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ * وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

إن الله سبحانه وتعالى أمر عباده المؤمنين بالدخول في الإسلام بالكلية من غير أي نقص ، وزيادة فيما أنزله من شريعة كاملة ، وكل فرد من أفراد الأمة الإسلامية مسئول عن ذلك من غير تمييز بين إنسان وإنسان ، ذاك أن الإسلام لا يُقرّ بالتفاوت الطبقي والعنصري ، ولا بالضعة والرفعة ، وليس لديه مقياس مادي لتفضيل شخص على شخص آخر ، إنما هو مقياس الإيمان و العقيدة فكلما كان المرء أقرب إلى ربه كان أحب إليه وأفضل من غيره ، و إلى هذا المعنى أشار الله سبحانه في سورة الحجرات من كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى * وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ * لِتَعَارَفُوا * إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ وجاء تفسيره في قول الرسول الكريم ﷺ : "لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى ، كلكم من آدم ؛ وآدم خلق من تراب" .

إن ما نراه اليوم من تقاعس في تمثيل السيرة الإسلامية النموذجية في المجتمعات المسلمة وحتى في أوساط العلم والدين ، فقلّما توجد من تكون حياته مثالاً كاملاً للحياة الإسلامية

المطلوبة – إنما هو عائق كبير في تأثير الدعوة الإسلامية وفي سبيل الاقتناع برسالة الإسلام ، كما أنه عامل كبير في توافر الظروف القاسية التي يعيشها المسلمون في العالم المتطور الحديث ، وما قصة الأقطار الإسلامية التي يرزح شعوبها المسلمة تحت نير الاستعمار الجديد الفظيع بخافية على العالم ، وهي تواجه من المحن والشدائد ومن القتل والدمار ، ما الله به عليم ، لذلك فإن حاجتنا إلى العودة إلى الإسلام من جديد أعظم من البقاء على الجادة بدون تطبيق عملي ، وإلى الروح الدينية والمعنوية الإيمانية أشد من الظواهر التي تنال منا رواجاً وانتشاراً ، فذلك هو الطريق المسلوك نحو العز والسعادة واستعادة منصب القيادة العالمية ، وتمثيل دور المؤمنين الصادقين والأبطال المخلصين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ * ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا * وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ * أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ والمجاهدة لها أنواع وأنواع ، فكل عمل يُبتغي به وجه الله تعالى ويوضع في طريقه جميع الإمكانيات من المال والجاه والقوة والمنصب فهو يدخل ضمن الجهاد في سبيل الله .

إن هذه الصفة تناقصت نسبتها في المجتمع المسلم المعاصر ، وحلت محل الآداب والخصائص الإيمانية أفكار مادية بحتة ، وهموم المعاش وجمع المال ، وبناء المستقبل المشرق للأولاد والأحفاد ، حتى لم يعد فرق بين الخاصة والعامة ، بل وتسابق الجميع في مضمار المادية والهموم المستقبلية لرفع المستوى الذاتي وبناء الشخصية على حساب الدين والخلق والعقيدة والإيمان ، وبذلك فقد المسلم تلك الميزة الإيمانية التي كانت تميزه عن غيره ، وتمنحه التشخص الإسلامي في مجالات

الحياة كلها ، وقد أشار النبي المصطفى ﷺ إلى ذلك ؛ فقال : "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" ، وقال : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" و وصف الدين وهو الإسلام ؛ فقال ﷺ : "الدين النصيحة ، قالوا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" .

فهل من المعقول أيها – القارئ الكريم – إن يحارب دين كله أمن وأخوة وإيمان وعقيدة ، وعلم وعمل وسلوك ، وحب وسلام ، و نصح و ونام ، و هل من المعقول أن يُتهم دين هذا شأنه ، بالإرهاب والعنف والأصولية والرجعية وضيق الأفق ؟

وهل من المعقول أن نمثل – نحن المسلمين – الإسلام ، ونحن بمعزل عن تعاليمه وفي غنى عن شريعته بعيدين عن منهجه ونظامه ، متمسكين بآداب الشعوب المنحرفة والأمم الضالة ، ومعجبين بحضارة الغرب ؟

إن الإسلام لن يفقد حيويته ورواءه وخلوده في أي عصر من العصور وفي أي زمان ومكان ، مهما رفض الرافضون ، وتآمر عليه المتآمرون ، والمسلمون هم دعاته وهداته ، وهم أجدر بالقيادة العالمية في كل حال ؛ فقد كانوا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

ولقد كان العالم البشري أسعد ما يمكن ، يوم كان المسلمون رواد الحق والعدالة الاجتماعية على المستوى العالمي ، وكانت قيادة العالم بيدهم .

هذا هو قضاء الله وحكمه ولا راد لقضائه أبداً ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

سعيد الأعظمي
١٤٢٥/١٠/٢٧هـ

التوجيه الإسلامي :

وقفات مع كتاب تنصير المسلمين

بقلم :
الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" - الرياض)

تصافح أسماعنا، ويقع تحت أنظارنا، في كل يوم ما تنقله وسائل الإعلام، عن تكثيف في العراق وغيره، وجهود متتابعة لتنصير المسلمين، حيث يعتبر المنصرّون هذا الوقت ذهبياً بالنسبة لهم، وجاءوا في غارة على ديار الإسلام يركضون، ليس هدفهم هذه المرّة في تنصير الأفراد، والتشكيك في تعاليم الإسلام، ولكن مخططهم، وفق استراتيجية مدروسة من قياداتهم، طرحها مؤتمر كولورادو التنصيريّ، حيث يرغبون جذب المسلمين للنصرانية: جماعات لا وحداناً، "ويمكرون ويمكر الله"، وقد وضعوا أسساً تغاير ما كان قد رسمه "صموئيل زويمر" للتنصير، مرتكزين على دعائم - في نظرهم - تجذب المسلمين للانضواء تحت دعواتهم، وتخفف العبء عنهم، مثل: افتعال الأحداث السياسية والعسكرية، وتحريك المشكلات الاجتماعية والمعيشيّة، وغير ذلك من القضايا التي تمهّد لقبول دعواتهم، ولم ينسوا في هذه الهجمة: مسألة تقارب الإسلام مع النصرانية: في الأخلاق والمحبة، والإيمان بالمسيح عليه السلام وغير ذلك.

كما لفت نظري عشرات الملايين من طبعات الأناجيل، التي أدخلت في الآونة الأخيرة للعراق وغيره من الدول في منطقة الشرق، والتي تتزايد في دفعاتها مرّة بعد أخرى، ممّا يجعل المسلم الغيور على دينه، يتألّم، وخاصّة في التقارب بين اليهود والنصارى، في هذه

الجهود، وحماستهم في التخطيط والعمل لتحريك الشُبهات، ومحاولة التضليل لقلب الأمور ومقاربة الوقائع بكلمة صدرت بلسان أحد زعمائهم، وأحدثت ردّ فعل لدى المسلمين لما تعنيه من مغزى بعيد مرماه، وهي قوله: "الآن بدأت الحروب الصليبيّة"، وصدق الله في هذا القول الكريم: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى * حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾، وإن كل مسلم مدعوّ لإدراك هذا الخطر، الذي يريده أعداء الله، وأعداء أمة الإسلام، نحو دين الله الحقّ حسب دلالة هذه الآية الكريمة، في محاولة لإطفاء نور الله، ولكن الله متمّ نوره، وحافظ دينه.

وعُدْتُ إلى مكتبتي لأبحث عما يعين في كشف الخفايا، والإعانة في تقوية الروح المعنوية، بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.. ذلك أن الدين هو دين الله، وتعهد الله سبحانه بحفظه، ورسمت تعاليمه درباً لا أعوجاج فيه، لمن أراد السير الثابت، والاستقامة على الطريق المستقيم.. وما على كل مسلم إلا أن يسترشد، ويؤصل عقيدته مع إخوانه: ثباتاً وعملاً ودعوةً وصدقاً وإخلاصاً لله سبحانه.

فوجدت كتاباً طبع في عام ١٤١٠هـ، صدر بالرياض عن دار النفائس في طبعته الأولى، عنوانه: تنصير المسلمين: بحث في أخطر استراتيجية، طرحها مؤتمر "كولورادو" التنصيريّ للدكتور: عبد الرزاق ديار بكر لي.

يتكون هذا الكتاب من ١٥٥/صفحة، وبعد الإهداء، جاءت عناوين الكتاب كما يلي:

١- المقدمة: مؤتمر كولورادو ماذا وكيف.

٢- الدعوة إلى التنصير الجماعيّ.

٣- التبصير والاستعمار .
٤- الخدمات والتنصير .
٥- أساليب جديدة في التنصير .
٦- التزلف لكسب المسلمين .
٧- الدعوة إلى مخاطبة الناس على قدر عقولهم .
٨- عقبات وهموم أمام التنصير .
٩- هجوم وأخطاء ضد الإسلام .
١٠- كلمات حق .
١١- وأخيراً الخاتمة .

وإذا سرنا مع هذا الكتاب خطوات .. فإننا نرى فيه ما يلي :

إذْ بعد الإهداء : الذي قدمه للشباب المسلم ، الذي عرف ربّه ، وعرف دربه ، دخل في المقدمة التي زادت عن ٨/صفحات قال فيها : لقد شهد القرن المنصرم فيما شهد من مؤامرات أعداء الإسلام ، هجمة تنصيرية عاتية ، سعت إلى تنصير أكبر عدد من المسلمين أو إفسادهم ، أنفقت من أجلها أموال طائلة ، وبذلت جهود هائلة ، وأعدّت خطط ، وسهرَتْ عقول ، وتحركت جيوش من المنصّرين للعمل في شتى بلاد المسلمين ، وإن المؤتمرات التنصيرية العالمية كثيرة .

وقد أورد المؤلف قرابة ٣٠/مؤتمراً ، ثم قال : وعليه فإن أخطر هذه المؤتمرات على الإسلام والمسلمين مؤتمران اثنان : أولهما : هو المؤتمر الذي افتتح عام ١٣٢٤هـ في ٤/أبريل ١٩٠٦م بالقاهرة ، برئاسة القسيس "زويمر" الذي كشف عن مخاطره وتحذير المسلمين من منطلقاته : محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ، في كتاب حمل اسم : الغارة على العالم الإسلامي .

ثانيهما : أخطر المؤتمرات : مؤتمر كولورادو في ١٥/أكتوبر عام

١٩٧٨م ، تحت اسم : مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين . حضره ١٥٠/مشتركاً ، يمثّلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم ، استمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق ، وانتهى بوضع استراتيجيّة بقيت سرية لخطورتها ، مع وضع ميزانية لهذه الخطّة مقدارها "١٠٠٠" ألف مليون دولار ، وقد تم جمع هذا المبلغ فعلاً ، وتمّ إيداعه في أحد البنوك الأمريكية الكبرى (ص/٩-١١) .

إن المؤتمرين الذين التقوا في كولورادو ، هم من كبار العاملين في حقل التنصير ، معظمهم من أصحاب الاختصاصات العلمية العالية و بخاصة في العلوم الإنسانية ، و قد عكسوا كل التهم التنصيرية ، وكل خبراتهم العلمية في أبحاثهم التي قدّموا فيها عصارة مهمة لهذا المؤتمر الذي أعدّ خصيصاً لمناقشة السّبل الكفيلة بتنصير المسلمين في العالم أجمع .

شحن هذا المؤتمر أذهان المنصّرين ، بضرورة العمل على تنصير "٧٢٠" مليوناً من المسلمين ، كما برز عندهم الحاجة الماسّة لإقامة مركز يكون معهداً للبحوث والتدريب على تنصير المسلمين ، ويكون هذا المعهد بمثابة جهاز عصبيّ ينبّه إلى كل ما هو ضروري في هذا الصّدد ، وقد أنشئ هذا المعهد بالفعل وسمي : "معهد صموئيل زويمر" ، في شمال كاليفورنيا ، وقد اختير "دون ماكري" ليكون مديراً له (ص/١٣-١٤) .

وقد قدّموا وفق تجاربهم الكنسيّة الواسعة ٤٠/موضوعاً ، كل موضوع منها من الأهمية بمكان .. والقارئ لأي موضوع منها : يراهم يحاولون إخضاع المقاييس العلمية ، لتكون في خدمة التنصير كأدوات جديدة في هذا السبيل .

ثم أوضح المؤلف : أنه لأهمية هذه الموضوعات ، ولخطورتها على الإسلام والمسلمين ، فإن المعهد العالمي للفكر الإسلامي بفرجينيا بالولايات المتحدة قد عمد إلى ترجمتها للغة العربية ، لتكون بين أيدي القراء والمهتمين من المسلمين ، ليكونوا على بيّنة من الأمور التي تحاك لهم ، وتبيت ضدهم ، ثم ليعرفوا السبيل لإنقاذ دينهم وأنفسهم وإخوانهم ، وليتعاونوا في تقديم الخطط الحديثة والبديلة ، المكافئة والمناسبة والتي بإمكانها ، ليس فقط بالمحافظة على المسلمين والدفاع عنهم ضد هجمات المنصّرين ، بل نشر الإسلام بين البشر بما فيهم النصارى أنفسهم ، لأنّ الإسلام دين الله ، ودين العالم أجمع (١٤-١٥).

وختم المؤلف المقدمة : بالدعاء إلى الله بأن يلقى كتابه هذا القبول لدى القراء ، لا لذاته بل لخطورة مضمونه ، لأن أعداءنا يخططون ويعملون ويبذلون ، لكن لنا في تأييد الله ونصره وعونه ، ما يحبط هذا الكيد ، ويجعله على المنصرين بدل أن يكون لهم : "والله مُتمّ نوره ولو كره الكافرون" (ص/١٦) .

♦ حرب داحس والغبراء :

قال أبو عبيد : حرب داحس والغبراء ، بين عبس وذبيان ، بني بغيث بن غطفان ، وكان السبب الذي هاجها ، أن قيس بن زهير ، وحَمَلَ بن بدر تراهنا على داحس والغبراء ، أيهما يكون له السبق ، وكان داحس فحلاً ، لقيس بن زهير ، والغبراء - فرس أنثى - لحَمَل ابن بدر ، فتواضعا الرهان على مائة بعير ، وجعلا منتهى الغاية غلوة ، والمضمار أربعين ليلة ، ثم قاداهما إلى رأس الميدان بعد أن ضمّراهما أربعين ليلة ، وكان في طرف الغابة شعاب كثيرة ، فأكمن حَمَلُ بن بدر ، في تلك الشعاب فتياناً على طريق الفرسين ، وأمرهم إن جاء

داحس سابقاً ، أن يردّوه عن الغاية ، ثم أرسلوهما فلما أُحْضرا خرجت الأنثى عن الفحل ، فقال : حَمَل بن بدر ، سبقتك يا قيس .

فقال قيس : رويداً يعدوان الجَدَدَ الوعث ، وترشيح أعطاف الفحل ، فلما أوغلا عن الجَدَد ، وخرجا إلى الوعث ، برز داحس عن الغبراء ، فقال قيس : "جَرْيُ المذكّيات غلاب" فذهبت مثلاً .

فلما شارف داحس الغاية ، ودنا من الفتية ، وثبوا في وجه داحس فردّوه عن الغاية ، وثارت الحرب بين عيسى وذبيان ، فركدت أربعين سنة ، لم تنتج ناقة ولا فرس فيهما لاشتغالهم بالحرب ، فبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكاً إلى قيس بن زهير يطلب منه حقّ البعد ، فقال قيس كلاّ ثمّ أخذ الرمح فطعنه فدقّ صلبه ، ورجعت فرسه غائرة ، واجتمع الناس فحملوا دية مالك ١٠٠/ناقة عشراء ، وزعموا أن الربيع حملها وحده ، فقبضها حذيفة وسكن الناس .

ثم إن مالكاً نزل منزلاً ، فأخبر حذيفة بمكانه ، فعدا عليه فقتله ، فقالت بنو عبس : مالك بن زهير بمالك بن حذيفة ، وردّوا علينا ما لنا ، فأبى حذيفة أن يردّ شيئاً ، وكان الربيع بن زياد مجاوراً لبني فزاره ، فلما قتل مالك بن زهير ، جعل بنو فزاره يتساءلون ويقولون : ما فعل حماركم ؟ قالوا : صددناه ، فقال لهم الربيع : ما هذا الوحي ؟ قالوا : قتلنا مالك بن زهير ، قال : بئس ما فعلتم ، قبلتم الدية ورضيتم بها ثم غدرتم ، فقالوا : لو لا أنك جارنا لقتلناك .

فقالوا له : بعد ثلاث ليال أخرج عنّا ، فخرج حتى لحق بقومه ، وأتاه قيس بن زهير فعاقده ، ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان ، إلى بني فزارة وذبيان ، ورئيسهم الربيع بن زياد ، ورئيس بني فزارة حذيفة بن بدر . (نهاية الأرب : ج/١٥ ، ص/٣٥٦) .

الريادة العلمية عند المسلمين [٢/الأخيرة]

بقلم :
الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(الكاديمي - خبير دولي - عضو اتحاد كتاب مصر)

◆ منارات العلم في الأندلس :

وفي الأندلس أصبحت قرطبة في ظل عبد الرحمن الثاني (٨٢١-٨٥٢م) مركزاً هاماً للرخاء الاقتصادي والنشاط الفكري جميعاً وتبوأت مقاماً عالياً في عهد الخليفة الأول عبد الرحمن الثالث (٩١٢-٩٦١م) حامي العلوم والآداب ، وبفضل تشجيع مطر النمو أيضاً تزايدت هذه النهضة في حكم ابنه وخليفته الحكم الثاني (٩٦١-٩٧٦م) الذي أبى إلا أن يكون هو نفسه من العلماء ، فأرسل وكلاء عنه إلى جميع أصقاع العالم الإسلامي لابتياع الكتب واستنساخها ، و وفق في جمع مكتبة غاية في الثراء تقدر محتوياتها بأربعمائة ألف كتاب ، كما كانت فهارس كتبها تملأ أربعة وأربعين جزءاً .. وكان يساعد الخليفة في هذا النشاط العلمي وزيره محمد بن أبي عامر المتوفى عام ١٠٠٢م ، وأخيراً كان حكم هشام (٩٧٦-١٠٠٩م) الذي ازدهرت العلوم على يديه .. (١٤) .

◆ وحمل الأزهر الشعلة :

وليت شعري أن يظل الحال على ما هو عليه : فلقد انقسم المسلمون على أنفسهم في الأندلس ، ومن قبل دهم التتار بغداد

(١٤) د/اللمرداش : مسيرة الفكر العلمي عبر التاريخ ، مجلة : "المنهل" ، العدد/٤٥٢ ، رجب سنة ١٤٠٧هـ (الحلقة الثالثة) : ص/١٣٩-١٤١ بتصرف .

- حاضرة العلوم - ، بل وأحرقوا ما فيها من كتب وألقوها في دجلة حتى غدت جسراً يعبرود عليه ، كما قتلوا العلماء ، و عطلوا المدارس ، وأصبح المسلمون محكومين بقوم من غير جنسهم ، كل هذا كوّن غيوماً في سماء المعرفة عند المسلمين ، ولكن الله الذي تكفل بحفظ دينه والإبقاء على قرآنه هيأ الأزهر ليكون المكان الذي يشع منه نور العلم والمعرفة ، فلقد لجأ العلماء الفارون إليه من وجه التتار ، كما لجأ إليه العلماء المهاجرون من الأندلس ، كلهم وجد فيه محطاً لرحاله ، ومكاناً صالحاً لأداء رسالته .

وقد حبب الله إلى سلاطين المماليك أن يميلوا إلى العلم ، وأن يقربوا العلماء ويغدقوا عليهم ، فتخرج في الأزهر علماء أجلاء لا نزال ننعم بما خلفوه من دراسات واسعة شاملة في شتى ميادين المعرفة : كالسيوطي ، وابن منظور ، وابن هشام ، والسبكي ، وابن حجر

وقد بقي الأزهر - كذلك - منارة هادية حين أطبقت الظلمات في العصر العثماني ، ولعل "شوقياً" قصد إلى هذه الفترة من تاريخ الأزهر حين قال فيه :

ظلمات لا ترى في جنحها
غير هذا الأزهر السمح شهاب
قسماً لولاه لم يبق بها
رجل يقرأ أو يدري الكتابا
حفظ الدين مليا و مضى
ينقذ الدنيا فلم يملك ذهابا ..! (١٥)

(١٥) د.علي محمد حسن العماري : التاريخ الأدبي للعصرين العثماني والحديث : ص/٢٨-٣١ (ط.الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية سنة ١٣٩٩هـ) فراجعه تجد تفصيلاً .

وثمة أسباب أخرى لضعف المسلمين بعد حياة الازدهار العلمي الذي لم تعرف الدنيا له مثيلاً في وقتها؛ ونحن نرى أن من أعظم هذه الأسباب: أن المسلمين لم يعد يستفيدون من مواقفهم، ولم يعتبروا من ماضيهم، فالأمور عندهم أصبحت وقتية تنتهي بانتهاء وقوعها دون عبرة واستفادة ..!

ولو قلبنا صفحات ماضينا التليد، لوجدنا أن المسلمين الأوائل كانوا يطبقون مبدأ الاستفادة خير تطبيق ..

ففي غزوة "حنين" - مثلاً - على الرغم من كثرة الغنائم التي تركها العدو في انسحابه فإن المسلمين لم ينشغلوا بالاستيلاء على غنائم العدو بل أوغلوا في تعقبه، مستفيدين في ذلك من درس غزوة أحد ..

لذلك وجدناهم في سنين قلائل يفتحون العالم وينشرون الإسلام على ربوعه، ويقيمون حضارة فريدة في وقتها، دانت لها جميع الحضارات ..

أما حين ترك المسلمون مبدأ الاستفادة، ماتت فيهم روح الطموح، وأسلموا راية حضارتهم إلى أعدائهم ..

فالمسلمون في أثناء الحروب الصليبية كانوا يتمتعون بحضارة منقطعة النظير ومتكاملة الجوانب، مزجت تراث اليونان والإغريق و المصريين بأعظم تقدم وابتكار إضافة الإسلام إلى هذه الحضارة - وقت أن كانت أوربا تحيا في ظلام الجهل، وتعيش في محيط التخلف - إلا أن المسلمين حين لاقوا الصليبيين في حروبهم وانتصروا عليهم، رضوا الخمول والكسل، وفترت همتهم وعزائمهم، ولم يستفيدوا من موقفهم مع أعدائهم.

أما في الغرب فقد كان الأثر عكسياً، فقد عرف الأوربيون

كيف يعبرون من الهزيمة إلى النشر ومن الجهل إلى العلم، ومن التأخر إلى التقدم، و من حياة الدعة و الخمول و الكسل إلى حياة الجد والعمل، ومن حالة اليأس إلى حالة الطموح، فالتهموا الحضارة الإسلامية كالجائع المحروم من الطعام عندما يقدم إليه الطعام الشهي لا يبقى منه شيئاً ..!

بهذا أقاموا حضارة من لا شئ ..!! ذلك لأنهم عرفوا الاستفادة ولو في أحلك الظروف ؟!! (١٦).

♦ **الأصل والنقل:**

الأصالة قدر مشترك بين جميع الحضارات: فكل حضارة أبدعت ونقلت وكانت لها سمة تميزها بين الحضارات العالمية، ولم توجد قط حضارة تفردت بالإبداع أو تفردت بالنقل أو خلت من السمة التي تميزها بين سمات الحضارة.

إلا أن البدعة الحديثة التي نشأ حول الآرية والسامية قد جنحت بالأوربيين منذ ظهرت فيهم إلى اختصاص الحضارة الإسلامية بالنقل دون الإبداع، وحببت إليهم أن يميزوا عليها حضارات الأمم الآرية - ولو كانت شرقية - بملكة الإبداع والتفكير الحر، ولا سيما في المباحث النظرية التي يراد بها العلم للعلم ولا يراد بها العلم للتطبيق أو للانتفاع به في مرافق المعيشة؛ لأن تمييز الشرقيين الآريين ينتهي إلى تمييز العنصر الأوربي في أصوله الأولى، وهي الدعوى التي يسوغ بها سيادته على أمم العالمين!

---

(١٦) د. محمد السيد علي بلاسي: لابد أن نستفيد ؟! مجلة: "البريد الإسلامي" (وهي مجلة فصلية تصدر عن دار تبليغ الإسلام بمصر) العدد/٧-٩، سنة ١٤٠٤هـ ص/١٣-١٤.

وقال منهم قائلون : إن حضارة العرب التي ظهرت بعد الإسلام كانت حضارة منقولة على أيدي الأعاجم الذين دخلوا الإسلام ! (١٧) .

وأول ما يوجب التشكيك في هذه الدعوى أن نسأل : أين هي الحضارة التي أبدعت ولم تنقل ؟ وأين هي الحضارة التي يقال عن جميع علمائها إنهم من عنصر محض خالص ينتمون إليه ولا يمتزج بالعناصر الأخرى ؟

والحقيقة التي لا يشوبها شك : أن كل حضارة مبدعة ناقلة ، والحضارة الإسلامية ليست بدعاً في هذا المجال ، وإنما اطلعت على فكر السابقين من يونان وإغريق وهنود وفرس وغيرهم من الأمم ، إلا أن هذه الحضارة تميزت بهضم هذا التراث وأضافت إليه الكثير ، فما من أمة تستطيع استيعاب التراث العلمي لغيرها من الأمم التي تفوقها حضارة إلا إذا كانت قد وصلت إلى هذا المستوى من التراث .. وقد كانت الأمة الإسلامية جديرة بذلك في وقت قصير ؛ ذلك لأن مظلة العلوم الفقهية وعلوم القرآن والسنة قد أمدتها بإشعاعات أسرعت في تكوين الفيتامينات للفكر العلمي الجديد .. (١٨) .

أما عن الفرية القائلة بأن الحضارة الإسلامية ظهرت على أيدي غير العرب ، فنقول مجيبين عليهم : إن الإسلام لا يفرق بين جنس وآخر ، ما دام الجميع قد دخل تحت مظلته ، والحضارة الإسلامية

(١٧) عباس محمود العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوربية : ص/٢٨-٢٩ بتصرف ، ط/٢ (دار المعارف سنة ١٩٦٣م) .

(١٨) د/الدمرداش : مسيرة الفكر العلمي ، مجلة : "المنهل" . عدد رجب سنة ١٤٠٧هـ (الحلقة الثالثة) : ص/١٣٨ .

قد اشترك في تكوينها المسلمون من جميع الأجناس وكان للأمم الأعجمية - حقاً - قسط كبير في بناء صرحها في مختلف العلوم والدراسات ، إلا أنه ينبغي أن يعلم : هذه الأمم الأعجمية لم تنهض هذه النهضة إلا بعد ظهور الإسلام فيها ، ولم تكن لها في إبان مجدها القديم فضيلة على العنصر العربي في الدراسات النظرية التي يراد بها العلم للعلم ولا يراد بها العلم للتطبيق أو للانتفاع به في مرافق المعيشة ..

ومن الثابت أنه ليس كل ما انتقل على أيدي الحضارة الإسلامية عربياً محضاً في الأصول والفروع ، ولكن حسبها أنه لم ينقطع على أيديها ، فاتصلت بفضلها وشائجه بالتاريخ القديم والحديث ، فحفظت تراث الإنسانية كلها وزادت عليه ونقلته إلى من تلاها ، وكل حضارة صنعت ذلك فقد صنعت خير ما يطلب من الحضارات (١٩) ، كما أن ابتكارات الحضارة الإسلامية في شتى مجالات المعرفة - مما لا يتطرق الشك إليه - دليل على أن حضارة الإسلام مبدعة وليست ناقلة - فحسب - كما يزعم المغرضون الحاقدون !

♦ **ومضات من ابتكارات المسلمين (٢٠) :**

أولاً : في الرياضيات :

أ- الجبر : اخترعه العرب اختراعاً ، ونقلته أوربا باسمه ، والخوارزمي هو أول من ألف فيه بطريقة منظمة ، واعتمدت أوربا

(١٩) العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوربية : ص/٣٠-٣٣ بتصرف ، ط/٢ ، (دار المعارف سنة ١٩٦٣م) .

(٢٠) لمزيد من التفصيل راجع : المرجع السابق : ص/٣٤-١٢٩ ، تاريخ الفكر في الحضارة الإسلامية : د.صبحي منصور : ص/٨٧-١٠٥ .

على كتابه : "الجبر والمقابلة" .

ب- **الحساب** : ابتكر العرب النظام العشري والصفر ونقلته أوربا باسمه العربي و وضع العرب مؤلفات كثيرة في الحساب والنسب العددية والهندسية والتناسب واستخراج المجهول والجذور .

ج- **المثلثات والفلك** : وهم واضعو علم حساب المثلثات وسهلوا حل كثير من المسائل ، وربطوا بين الفلك والرياضة ، ونبغ في ذلك : الطوسي ، والبيروني والخازن ...

د- **الطبيعة والميكانيكا** : عالج ابن سينا سرعة الضوء والصوت ، ويعتبر ابن الهيثم في مقدمة علماء الطبيعة في جميع العصور وهو من أئمة علم الضوء ...

ثانياً - الكيمياء :

بطلها جابر بن حيان ، فقد عرف عمليات التبخير والتقطير والترشيح والتكليس والتبلور ، وحضّر كثيراً من المواد الكيمائية مثل نترات الفضة وكبريتور الزئبق ، وقد ترجمت كتبه إلى اللاتينية ، واشتهر الرازي بالطب والكيمياء ، وقد ابتكر أجهزة و وصف أخرى ، وكان لمعرفته بالكيمياء أثر في طبه ، وقد حضّر الأحماض كحامض الكبريتيك والكحول ..

ثالثاً - الطب :

لقد عرف العرب المستشفيات ، وعنوا بالطب عناية فائقة ، ويحدثنا التاريخ : أنه قد دعي إلى الامتحان في بغداد نحو تسعمائة طبيب على عهد المقتدر بالله ، وهم غير الأساتذة الثقات الذين تجاوزوا مرتبة الامتحان ، وهي عناية بالطب والصحة لم تشهدها قط حاضرة من حواضر التاريخ القديم ، هذا في الوقت الذي كانت فيه الكنيسة الغربية في أوربا تحرم صناعة الطب ، لأن المرض - في زعمهم -

عقاب من الله لا ينبغي للإنسان أن يصرفه عمن استحقه ، وظل الطب محجوراً عليه بهذه الحجة إلى ما بعد انقضاء العهد المسمى بعهد الإيمان ، عند استهلال القرن الثاني عشر للميلاد ، وهو إبان الحضارة الأندلسية ..

وكانت مؤلفات العرب في الطب هي عمدة المؤلفات التي اعتمدت عليها أوربا ولا زالت في مجال الطب كمؤلفات ابن سينا والرازي وابن الهيثم وغيرهم ...

فهذا قبس من ابتكارات المسلمين في بعض العلوم ، وهناك ابتكارات وابتكارات للمسلمين - في شتى مجالات العلوم - لا يكفي لحصرها مجلدات ، تلك التي عليها أوربا حاضرها بعد سباتها العميق ..!

ولعل هذا كله يلغي تلك الفرية القائلة : بأن حضارة الإسلام كانت حضارة ناقلة وليست مبدعة .

ولا يسعني أخيراً - إلا أن نسوق قول المستشرقة الألمانية المنصفة "زيغريد هونكه" : وإننا لندين - والتاريخ شاهد على ذلك - في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب ، وكم أخذنا عنهم من حلجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس ، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب ، الذي كان يوماً من الأيام قاتماً كالحاً باهتاً ، وزركشته بالتوابل الطيبة النكهة ، وطيبته بالعبير العابق ، وأحياناً باللون الساحر ، وزادته صحةً وجمالاً وأناقةً وروعةً (٢١) .

***

(٢١) ريغريد هونكه : شمس الدنيا تسطع على أوربا ، ترجمة : فاروق بيضون ، وكمل الدسوقي : ص/٢٠ ، ط/٦ ، سنة ١٤٠١هـ ، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت .

الدعوة الإسلامية :

وقفة الحجاج في منى

فرصة متاحة من الله تعالى للعالم الإسلامي

[للعلامة الكبير سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله
مقتبس من مقال له بالأردية بعنوان : "من بيتي الى بيت الله الحرام"
كتبه على اثر أدائه فريضة الحج عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م والفكرة التي
اثيرت فيه تنطبق على العالم الاسلامي اليوم بعد مضي اكثر من نصف
قرن . وقد قام بنقله إلى العربية احد تلاميذه وهو فضيلة الدكتور السيد
إحسان الحق الندوي] [التحرير]

تملكني بشدة - خلال إقامتنا بمنى أيام الحج - الشعور بأن هذه الأيام الثلاثة التي يقضيها الحجاج بمنى كانت فرصة غالية جديرة بأن تغتنم للقيام بعمل الدعوة الدينية وممارسة أعمال التربية والتعليم الدينيين ، فرصة ليس من الممكن أن يكون مثلها متوافرة للعالم الإسلامي ، من حيث المجموع بهذا المستوى العظيم أبداً في غير هذه المناسبة ، فتكون فيها مجتمعة مجموعات منتخبة مختارة من أرجاء العالم الإسلامي ، تكون قد خرجت من أوطانها في سبيل الله و ابتغاء مرضاته ، وتكون قد تهيأت واستعدت أتم الاستعداد ، على أثر مجاهدات وتحمل صعوبات ومشاق دامت لأيام في سبيله ، وبعد انقطاعها عن الروابط والعلاقات الشخصية النفسية ، والأشغال الدنيوية الدنية إليه ، وانفصالها عن بيئاتها المألوفة ، وتكون قد جذبت أنوار الحج وبركاته ، وتأثرت بمؤثراته ، لقبول أوامر الدين وأحكامه وجذب روحه وحقائقه حيث تكون وقفتها هنا لا لأي غرض آخر سوى الدين والعبادة ، فإذا تم الانتهاز لهذه الفرصة والاستفادة منها في هذه الفترة من الزمن ، فمن الأحرى أن يتم إنجاز ما قد يستغرق إنجازه

سنوات عديدة من العمل ، في غضون أيام قلائل (ثلاثة أيام فقط) وقطع أبعاد ومسافات بعيدة ، ومسافات طويلة تمتد إلى آلاف الأميال في حدود مساحة محددة مختصرة ، فإذا كانت على متن سفينة (تقل بالحجاج) قافلة بلد واحد تكون أوقاتها فارغة لتعلم مناسك الحج وشعائر الدين (١) ، فتكون في ميدان "منى" قافلة العالم الإسلامي كله نازلة معرجة مخيمة ومتفرغة يتعلّم الدين ومدارسة الأشغال الدينية ومنقطعة إليها .

ولكن مع الأسف ، كل الأسف ، إن هذه الفرصة الثمينة الغالية تُضاع إضاعة تامة وتذهب هباءاً منثوراً ، ولا يتم الانتهاز بها والانتفاع منها لغرض التعليم والتربية الدينية ، وبث الدعوة الإسلامية في أوساط المجتمع الإسلامي التي تجمعها منطقة منى بمناسبة الحج ، إن إطار حياتنا الدينية قد أصبح اليوم مقلعاً عن موقعه الأصلي ، ومحرفاً عن شكله الحقيقي بحيث لم يعد بإمكاننا الاستفادة من أي شئ مهما ثمن ، والانتهاز بأي فرصة مهما غالت ، إن هذه الأيام التي نقضيها في منى بين هذا الحشد الهائل العظيم من الحجاج كانت جديرة بأن يتم من خلالها نفخ الروح الديني في جسد العالم الإسلامي كله من جديد ، وإحداث العاطفة القوية فيه لممارسة عمل الدعوة الدينية ، إن هذا الحشد الهائل المجتمع في منى لثلاثة أيام كان بمثابة نفحة من نفحات الربيع تستطيع أن تنشر بذور الدعوة الدينية

(١) كان معظم الحجاج ، فيما مضى من الزمن ، يسافرون من بلدانهم إلى الأرض المقدسة للحج على السفن بحراً ، والرحلات كانت تستغرق أحياناً أياماً وأسابيع طويلة ، فكانت الفترة تستخدم لهذه الأغراض ، وكانت تعتبر فرصة ذهبية لها - المعرب .

والإصلاح الديني في أرض العالم كله، قد تنبت منها آلاف الآلاف من الحدائق والبساتين الدينية، فليس بوسع حكومات ودول، وآلاف من الجمعيات، ومئات الجرائد والمجلات، وآلاف آلاف من المبلغين والدعاة إحراز ما يمكن إحرازه من الأعمال الدعوية الدينية التي تتم بواسطة دعوة دينية منظمة تقوم بها جماعة متأهلة - تكون قد تربت وتأهلت وكسبت استعداداً لازماً لهذا العمل مسبقاً - في منى.

وكان ذلك كله، فيما مضى من الزمن، من ضمن ثمرات الحج ومنافعه، وليس فحوى قوله تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوْا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ بمقتصر ضيق لحد ما هو المفهوم عموماً، فإن الوصية الجامعة المحيطة بالعالم كله والأخيرة، التي وصى بها النبي الكريم ﷺ أمته كان صدورها في هذين الميدانين: ميداني "منى" و "عرفات"، وإن الحشد الذي كان قد خوطب فيهما هو الذي كان جديراً بأن يؤمر به ...

"ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع" وكانت هذه هي المناسبة، مناسبة حشد الحجاج بمنى وعرفات، عندما تم نزول آيات سورة "التوبة" الابتدائية، وإعلان الأحكام الخاصة بالمشركين، وكانت هذه هي المناسبة التي تلقى عندها خلق كبير من المؤمنين الأولين تعليمات الدين من النبي الكريم ﷺ؛ بصورة مباشرة، وكان الحج؛ بصورة اعتيادية، هو المناسبة المفضلة لاجتماع طلبة الدين الوافدين من أقطار نائية متعددة متنوعة لاكتساب علوم الدين وتعلم أحكامه وشرائعه، واستماع الأحاديث النبوية على صاحبها الصلاة والتحية، من حفاظها وكبار الشيوخ والمحدثين.

وبإمكان الحج أن يكون اليوم أيضاً قادراً على إثارة موجة جديدة من الحيوية والحياة، ونفخ روح جديد في العالم الإسلامي وإحياء قلوب المسلمين بعاطفة الانقياد بأحكام الدين، والشعور بضرورة

التزامهم بمسئولياتهم تجاه العالم بأسره، إن الحج هو الدرب الذي يمكن أن يصل به هذه القافلة المتضللة إلى مبتغاها المفقود المنشود. وبه يمكن أن يتذكر "بناة الحرم" مهمتهم الأصلية التي كانوا مبتعثين لها، وهي لا تزال تقع على عاتقهم غير مبهمة متروكة مهملة، وهي مهمة "بناء العالم" (٢) فهم قد نسوها وفي شغل شاغل عنها.

إن الحج طاقة عظيمة الشأن إذا كان استخدامها لغرض الإصلاح الديني وتغيير أوضاع المجتمع من السيئة إلى الحسنة، إلا أن هذه القوة؛ مع الأسف الشديد، مضاعة مهملة، اللهم إلا ما شذ وندر، وذلك لسبب تساهلنا، وإهمالنا وتجاهلنا عنها، إنها مضاعة مسخرة في كل سنة، وسنة بعد سنة على التوالي، إن هذه القوة كانت نعمة من نعم الله تعالى علينا، وما قصر الله سبحانه في إنعامه علينا: ﴿ وَ إِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوْهَا ﴾ كما أننا ما قصرنا في الاستهانة بها وعدم تقديرنا إياها، والشكر عليها، والاستفادة منها، ولو كانت مثل هذه المناسبة وهذه الفرصة متوافرة لدى أي قوم حي نابض بالحياة والحيوية متحرك وفعال، وكان له ميسراً مثل هذا الحشد الهائل الممثل للعالم كله، كل سنة، بدون أي جهد جهيد، وترغيب وتحريض ماديين بل وكان جمعه لمجرد الدين، وبناءاً على الحب الخالص له، والمنفعة

(٢) التلميح إلى بيت من أبيات "شاعر الشرق، الدكتور محمد إقبال رحمه الله" التي قال فيه ما فحواه: "يا من بنى الحرم (والمراد به الرجل المؤمن الصادق)! هب من نومك العميق، عليك أن تقوم مرة أخرى، وتبنى العالم من جديد كما كنت قد بنيته مرة في السابق"؛ وأصله بالفارسية على ما يلي:

معمار حرم! باز بتعمير جهان خيز
از خوابِ گران، خوابِ گران، خوابِ گران خيز

الأخروية فقط ، لكان قد أحدث ثورة في العالم كله ، وأبلغ دعوته ورسالته إلى كل ناحية من نواحي العالم ، إن كثيراً من الأقوام في عالم اليوم التي هي محرومة من النعم والثمرات التي لا تمنحها إلا النبوة والوحي الإلهي لا غير ، لتنظر إلى هذه الحشود الهائلة العالمية المجتمعة في منى بمناسبة الحج والتي تكون مشتملة على آلاف آلاف المسلمين الوافدين من كل بقعة من بقاع العالم على نفقاتهم الخاصة ، وعلى معانة صعوبات الأسفار الطويلة ومشاقها ، صابرين ، بل وشاكرين عليها ، برغبة منهم ورضاهم ، لتنظر إليها نظر الحسود والمغتبطين ، ذلك لأنهم مضطرون على إنفاق ملايين من الدولارات لعقد بعض اجتماعاتهم ومؤتمراتهم العادية ، وعلى إجراء دعايات عظيمة قوية لها ، ثم لا تكون ، بالرغم من ذلك كله ، ناجحة مثمرة ، وذلك أنها تفقد ما يوجد في الدين من الجذب المقناطيسي ، والكيف الروحاني ، ولكننا نحن معشر المسلمين ، يا للأسف ، لا نقدر هذه الثروة الثمينة المتوفرة والميسرة لنا مجاناً .

إن منفعة فرصة التعليم والتربية والتذكير والتبليغ الديني والدعوة إلى الدين هي من منافع الحج الجانبية والثانوية ، ولكنها لا تجدر ، بأية حال ، بأن يسمح بالإهمال والتغافل عنها ، وخاصة في هذا العصر الذي قد اشتد فيه الاحتياج إليها إلى حد لا غاية لها ، وإذا أصبح المسلمون في بلد واحد فقط - أي بلد - عازمين بعض العزم ، وكانوا منتظمين إلى حد ما ، وكانوا قد استعدوا استعداداً لازماً للقيام بهذا العمل المهم ، فتهيأ له عدد من الدعاة المخلصين الواعين المتحلين بعلم الدين ، ممن كان لهم إلمام باللغتين أو الثلاث ، وخاصة بالعربية والإنجليزية ، وكانوا مزودين أيضاً بعتاد الدعوة الفكري

اللازم ، وهو الرسالة إلى العالم الإسلامي ، وتشخيص أمراضه الأصلية ، ونوائبه وعلاته ، وطريقة علاجها بصورة صحيحة ، والدعوة إلى الرجوع إلى الدين والسبيل إلى نشأة الأمة الإسلامية ثانية ، وإعادتها إلى مكانتها الحقيقية بين الأمم ، ومنصبها في العالم ، وغاية بعثة النبي الكريم ﷺ وظهور هذه الأمة على الأرض ، وصلة الإسلام وعلاقته بالعالم الإنساني ، وتفضيل الحياة الأخروية على حياة الدنيا الدنية ، وسمات الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ومسلمي القرون الأولى ، وصفاتهم وخصائصهم الأصلية .

وكانوا مطلعين أنفسهم على هذه المواضع اطلاعاً تاماً بل والراسخين فيها ، كما وكانوا مزودين بكتب ورسائل ومنشورات في هذه المواضيع بغية إرساء هذه الحقائق في الأذهان والتفكير بها حتى وفيما بعد ، هذا وكان هناك أيضاً مكان مخصص (مؤقتاً طبعاً) ليمكن لهم توجيه الدعوة إلى نخبة من الناس للحضور إليه ، وللاجتماع وعقد الجلسات وإجراء المحادثات ومطالعة الكتب فيه ، ذلك لأنهم لا يستطيعون أن يصلوا - و الضخامة كما هي في مثل هذا الحشد العظيم - إلى كل محل ومكان ، ثم كان لديهم أيضاً نظام عمل موجه إلى إحداث حياة دينية في الناس ، والذي يكون ممكناً ممارسته . وإجراء التجربة به في كل قطر ومصر ، فإذا كان ذلك ، لكان بإمكاننا الاستفادة من هذه الوقفة ذات ثلاثة أيام في منى استفادة قد تحير العقول .

***

دور الإسلام في تطوير الطبيعة العلمية

(٢)

بقلم : الأستاذ ظهير النبي
(تعريب : الأخ عطاء الأعظمي)

◆ علم الطبيعة (Physics) :

وما كان هناك أي قسم مستقل باسم : "علم الطبيعة" في العلوم الإسلامية ، بل كانت العلوم الطبيعة تحتوي على الظواهر الخارجية للسماوات والأرض وعلى المواد التي هي في علم الطبيعة اليوم ، وكانت الرياضيات تعتبر قسماً مستقلاً ، والبصريات (OPTICS) التي تعتبر قسماً لعلم الطبيعة اليوم هي كانت تعتبر فرعاً للرياضيات ، وزين علم الفلك (Astronomy) بعنوان مستقل ، وكانت أقسام العلوم هذه مروجة في أوربا ، وكان نيوتن يسمي نفسه فلسفياً طبيعياً . أما مصطلح علم الطبيعة وعنوانه فعُرفا فيما بعد .

وملخص القول أن العلماء المسلمين قد ناقشوا على أصول علم الطبيعة ، وأجروا تجارب واكتشافات ، وقد وضع كل فلسفي مسلم كبير طبيعياً كان أم لم يكن له أي شغف به ، باباً عن الفلسفة الطبيعية في مؤلفاته ، لأن - من وجهة نظرهم - الأمور التي تناقش على مستوى فكري في نظرية الطبيعية الفلسفية هي تعتبر من مظاهر الطبيعة الخارجية وتختبر في ضمنها .

من أول يوم خالف العلماء المسلمون الفلسفة اليونانية لأن هذه الفلسفة كانت تعارض التصور الإسلامي والعقيدة الإسلامية عن الله تبارك وتعالى ، وكان أساس الفلسفة اليونانية على العقل وعلماء القرن العشرين أيضاً يعترفون بقصور العقل الإنساني .

قد بلغ العلم اليوناني مع الفلسفة اليونانية إلى المسلمين فما خالف العلماء المتقدمون العلم بل أخذوا قسم الطب منه ، ولم يلتفتوا إلى الأقسام الأخرى ولم يتعرضوا لها ، وكان الجماهير يتبعون العلماء في العقيدة ، فلذا رفضوا تصورات الفلسفة اليونانية ، ولكن الطب الذي كان ذا تأثير في حياتهم نال القبول العام بل انتشر وذاع باسم الطب اليوناني على أنه الطب العربي وهو مقبول حتى الآن ، ولكن دراسات وتجارب واكتشافات في أقسام العلم الأخرى كانت لا تؤثر على حياة الناس تأثيراً مباشراً ، وما ظهرت أي تقنية أو علم نتيجة لتجارب واكتشافات اليونان ، كما ظهرت التقنيات في العصر الجديد ، فلذا لم يلتفت إليها عامة الناس .

إن الأرض مركز لنظام الكون أو الشمس مركز للنظام الشمسي ؟ فما علاقة هذا البحث بعامة الناس ؟ بل في الحقيقة كل شخص يسلم ويعلم أن الشمس لا تدور حول الأرض بل أحد جوانب الأرض يحاذي الشمس أثناء دورانها حول مدارها فيكون النهار وعند انصرافه يكون ليل حالك ، لكن مع ذلك يتساءل الناس عن مواقيت طلوع الشمس وغروبها وكل يعلم أنه يتساءل عنها في البلد الذي يسكن فيه ، وهو لا يحتاج إلى بيان اختلاف الأوقات في الأمكنة والبقاع الأخرى ، إذ لا علاقة له بذلك .

لأجل ذلك لم تكن للجماهير سابقاً أي رغبة في التجارب والاكتشافات العلمية ، وفي عصر العلم الجديد يرغب الناس في الاختراعات المفيدة لهم ، أكثر من البحوث والاكتشافات التي أجريت في المختبرات .

يقول "ول ديورنث" : قد زاد الإنتاج الصناعي نتيجة للثورة الصناعية إلى حد فإن الإنتاج الزائد (SURPLUS) لا يمكن استهلاكه محلياً ، فحاجة الاستهلاك دعمت التجارة ثم ظهرت المدن الكبرى على طرق التجارة الرئيسية فظهرت الحضارة الجديدة من أجل اشتراك الناس .

إن الحروب الصليبية قد مهدت الطريق للناس إلى زيارة الشرق ومن فيه، فعادوا معهم بملامح الشرق وآثاره، وفُتحت الطرق إلى الشرق للتبادل التجاري، فالطرق التي استخدمت للحروب الصليبية أصبحت معروفة للتبادل الثقافي، وساد الفكر الشرقي للحياة المجتمع الغربي كذلك، وتحرر الناس من الطاعة المفروضة للعقائد النصرانية (DOGMA) ومن الرهبانية.

كان يُستعمل للكتابة ورق نفيس نادر (Parchment) ذو قيمة غالية، الواقع الذي سبب احتكار العلم لدى الكنيسة، وكان قد تم اختراع المطابع ولكن قلة الورق حالت دون غناء هذه المطابع لنشر الكتب وازدهار العلم، كانت الصين قد نجحت في اختراع صناعة الورق أولاً واستعمله المسلمون على مستوى عال، ولكن حصلت أوربا على صناعة الورق من مصر ثم قلدتها في هذه الصناعة، فلأجل ذلك توافر الورق الرخيص و وصلت الكتب بعدد كبير إلى عامة الناس، فاتسعت دائرة البحوث والتحقيق العلمي وخرجت من حدود الكنيسة و وصلت إلى أوساط العلماء والجامعات، وبدأت عملية التحقيق وازدهار العلم بدل التدقيق والمناظرة.

توافرت البوصلة (Compass) للملاحين فتجرءوا على الدخول في البحار حتى اكتشفوا أمريكا بعد ما عبروا بحر أوقيانوس، وكذلك اكتشفوا الطريق البحري إلى الهند، واخترعوا المنظار فشاهدوا به حركات الفلك، فتحررت الأذهان من قيود الطاعة غير العادلة وبدأ عهد الاكتشاف لآيات الكون وتسخيره لحاجة الإنسان.

بدأ عهد النهضة العلمية من راجر بيكن (Roger Bacon) ١٢٩٩م وقدمها ليونارد داوبخي (١٤٥٢-١٥١٩م) وبدأت التجارب والاكتشافات في الفصول المختلفة في القرن السادس والسابع عشر.

كوبرنيكس (Copernicus) (١٤٧٣-١٥٤٣م) وغليليو (Galileo) (١٥١٤-١٥٦٤م) وكيبلر، حققوا أصول علم الفلك، واكتشف

ويساليوس (Vasalius) (١٥١٤-١٥٦٤م) أصول علم الأبدان، واكتشف هاروي (١٦٥٧م) أصول الدورة الدموية، وظهر علم النفس (Psychology) إلى حيز الوجود لمعرفة الذهن الإنساني وعواطفه، كذلك ازدهر علم الإنسان وبعُد عنهم خوف الكنيسة فأخذوا يسخرون مظاهر القدرة الإلهية لمنافع الحياة بدلاً من عبادتها.

مع ذلك ظهر الخلاف بين العلم والدين وازداد العناد بينهما، قدم أرسطو تصوراً قديماً بأن الأرض هي محور الكون وتدور حولها الشمس والنجوم الأخرى بصورة علمية في ٣٤٠ق م؛ فنال هذا التصور القبول العام، وخضعت له الكنيسة وجعله عقيدة دينية، ثم في أوائل القرن السادس عشر خالف الرياضي والعالم الفلكي كوبرنيكس (Copernicus) هذه النظرية في بولندا، ولكن لم يجترئ على نشرها باسمه خوفاً من الكنيسة فأرسلها إلى العلماء الكبار، في عام (١٥١٤م) باسم مجهول، فلم يلتفتوا إليها جدياً، ثم في عام ١٥٤٣م نشر راهب هذه النظرية وعلق عليها قائلاً: "إن هذه النظرية لمسح الأبعاد الفلكية فحسب لا لتبديل التصورات الدينية الأساسية، ومات كوبرنيكس في نفس العام، ومن أجل تعليق الراهب لم تلتفت الكنيسة إلى الجانب الثوري لهذه النظرية وسلم كوبرنيكس من عقاب الكنيسة، ولكن أهمية هذه النظرية ضؤلت عند علماء الفلك، وبعد قرن تقريباً أيد وجدد هذه النظرية عالم ألماني جوهانس كيبلر (Johannes Kepler)، وعالم إطالوي غليليو (Galileo)، وكان المنظار قد تم اختراعه إلى ذلك الحين، فأدخل غليليو تحسينات في صناعة المنظار واخترع منظاراً أجود مما سبق، واستعمله لمشاهدة الفلك فأيد نظرية كوبرنيكس بأن الأرض ليست محور الكون بل هي الشمس، خالفت الكنيسة هذه النظرية واعتبرتها خلافاً للتعاليم الدينية وأجبرت غليليو على الانحراف منها وعاقبته بالسجن فقضى أيام عمره الأخيرة مسجوناً في بيته.

وأيد كيبلر نظرية كوبرنيكس وزاد فيها بأن الأرض والنجوم

الأخرى لا تدور حول الشمس بشكل مدور بل هي تدور بشكل بيضاوي ، وكان يعتقد بأن الشمس والقمر والأرض والنجوم الأخرى تحافظ على بعد المسافة فيما بينها بقوة مغناطيسية ، لكن لم يستطع كيبلر أن يقدم دليلاً مقنعاً لهذا الاعتقاد ، وبعد قرن جاء نيوتن فقدم حلاً لهذه المشكلة بأن الأجرام الفلكية كلها تسبح في الفلك بقوة الجاذبية التي تتوافر بينها .

فملخص القول أن تصور الكون قد تغير ، وبدلت تجارب كوبرنيكس وغليليو وكيبلر ونيوتن نظرية أرسطو ، وقبل ذلك كانت الكنيسة قد أخذت نظرية أرسطو وجعلتها عقيدة دينية أيام ازدهار الكنيسة ، أما الآن فقد اضمحلت سلطة الكنيسة ونالت النظرية الجديدة قبولاً عاماً لتوافر المشاهدة والدليل القاطع ، ومع ازدهار العلم أنكر الجماهير والخواص من الناس قبول شئ بدون دليل ، لأنهم تحرروا من قيود الكنيسة .

وبعد ذلك توسع نطاق التجارب وازدادت عملية التحقيق سرعةً وازدهرت آلات التقنية ولا تزال ، وكشف نيوتن (Newton) (١٦٤٣-١٧٢٧م)، وداروِن (Darwin) (١٨٠٩-١٨٨٢م) اكتشافات ثائرة عن تخليق الإنسان فخالفتها الكنيسة ولكن لم تستطع أن تعاقبهما مثل غليليو .

وفي ١٩٢٩م رأى أيدون هيوبل بأن هذه النجوم تتباعد عنا بحيث تتسع دائرة الكون ، ثم قوي هذا الخيال بأن هذه النجوم كانت متقاربة جداً ويمكن أن هذه النجوم لم تكن موجودة من قبل ، بل كانت نقطة الطاقة التي انفجرت وانتشرت وتشكلت بشكل هذه النجوم وتوسع نطاقها ، وهذا يعني أن تصور خلق الكون أصبح موضوع العلم الذي كان موضوع الدين والفلسفة فحسب .

وعلى هذا الموضوع أيضاً اختلف العلم والدين ، وزاد دارون هذا الخلاف بتقديم التصور الارتقائي للإنسان ضمن موضوع الكون المصيري في ١٨٥٩م .

(للبحث صلة)

•••

من لا يحل له الأخذ من الزكاة

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

بداية فإن الزكاة لا تحل للغني ولا لكل قوي قادر على العمل تتوفر له فرص العمل المناسب ، قال رسول الله ﷺ : (لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي "القوة والشدة ، السليم الأعضاء") (رواه أبو داؤد والترمذي وصححه) ، وإن لم يكن لصاحب القدرة الجسمانية كسب يغني ويكفي فلا يعتد بها ، لأن القوة بغير كسب لا تكسو من عري ولا تطعم من جوع ، قال النووي : إذا لم يجد الكسوب من يستعمله ، حلت له الزكاة ، لأنه عاجز ، وإذا كان الحديث المذكور قد اكتفى بذكر (ذي المرة السوي) فإن حديثاً آخر قيد هذا الإطلاق وأضاف إلى القوة الاكتساب ، فعن عبيد الله بن عدي الخيار ، أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبي الكريم ﷺ يسألانه من الصدقة ، فقلب فيهما البصر ، ورآهما جلدين "قويين" فقال : (إن شئتما أعطيتكما ، ولاحظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب) (رواه أحمد وأبو داؤد والنسائي) ، و إنما خيرهما الرسول الأعظم ﷺ لأنه لم يكن على علم بباطن أمرهما ، فقد يكونان قويين في ظاهر أمرهما ولكنهما غير مكتسبين أو يكتسبان ما لا يكفيهما ، والمراد بالاكتساب : اكتساب قدر الكفاية ، وإلا كان من أهل الاستحقاق ، ولا يصح أن يقال بوقوف الزكاة على الزمنى والمرضى والعجزة فحسب ، قال النووي : والمعتبر كسب يليق بحاله

ومروءته وأما ما لا يليق به فهو كالمعدم ، على أن حديث تحريم الزكاة على (ذي المرة السوي) يعمل بإطلاقه بالنسبة للقادر الذي يستمرئ البطالة ، مع تهيؤ فرص الكسب الملائم لمثله عرفاً ، قال الخطابي : هذا الحديث أصل ، في من لم يعلم له مال فأمره محمول على العدم ، وفيه دليل على أنه لم يعتبر في أمر الزكاة ظاهر القوة والجلد ، دون أن يضم إليه الكسب ، فقد يكون من الناس من يرجع إلى قوة بدنه ، ويكون مع ذلك أخرق اليد لا يعتمل ، فمن كان هذا سبيله لم يمنع من الصدقة ، بدلالة الحديث ، وقال الأحناف : يجوز للقوي أن يأخذ الصدقة إذا لم يملك مائتي درهم فصاعدا ، قال النووي : سئل الغزالي عن القوي من أهل البيوتات الذين لم تجر عادتهم بالتكسب بالبدن ، هل له أخذ الزكاة من سهم الفقراء ؟ قال : نعم ، وهذا صحيح جار على أن المعتبر حرفة تليق به .

ومن ملك نصاباً من أي نوع من أنواع المال ، وهو لا يقوم بكفايته لكثرة عياله ، أو لغلاء السعر فهو غني ، من حيث إنه يملك نصاباً ، فتجب الزكاة في ماله ، وفقير من حيث إن ما يملكه لا يقوم بكفايته ، فيعطى من الزكاة ؟الفقير ، قال النووي : ومن كان له عقار ، ينقص دخله عن كفايته ، فهو فقير ، يعطى من الزكاة تمام كفايته ، ولا يكلف بيعه ، وفي المغني قال الميمون : ذاكرت أبا عبد الله "أحمد بن حنبل" فقلت : قد يكون للرجل الإبل والغنم ، تجب فيها الزكاة وهو فقير ، وتكون له أربعون شاة ، وتكون له الضيعة لا تكفيه ، فيعطي الصدقة ؟ قال : نعم ، وذلك ، لأنه لا يملك ما يغنيه ، ولا يقدر على كسب ما يكفيه ، فجاز له الأخذ من الزكاة ، كما لو كان ما يملك لا تجب فيه الزكاة .

والخلاصة : أن كل قادر على الكسب مطلوب منه شرعاً أن يعمل ليكفي نفسه بنفسه ، فمن كان عاجزاً عن الكسب لضعف ذاتي كالصغر والأنوثة والعته والشيخوخة والعاهة والمرض ، أو كان قادراً ولم يجد باباً حلالاً للكسب يليق بمثله ، أو وجد ولكن كان دخله من كسبه لا يكفيه وعائلته ، أو يكفيه بعض الكفاية ، دون تمامها ! فقد حل له الأخذ من الزكاة ولا حرج عليه في دين الله ... (١) .

ومن الرائع حقاً ما ذكره هنا فقهاء الإسلام فقالوا : إذا تفرغ إنسان قادر على الكسب لعبادة الله تعالى بالصلاة والصيام ونحوهما ، لا يعطى من الزكاة ، لأنه مأمور بالعمل والمشي في مناكب الأرض ، ولا رهبانية في الإسلام ، والعمل في هذه الحال لكسب العيش من أفضل العبادات إذا صدقت فيه النية ، والتزمت حدود الله .

أما إذا تفرغ لطلب علم نافع ، وتعذر الجمع بين الكسب وطلب العلم ، فإنه يعطى من الزكاة قدر ما يعينه على أداء مهمته ، وما يشبع حاجاته ، ومنها كتب العلم التي لابد منها لمصلحة دينه ودنياه ، وإنما أعطي طالب العلم لأنه يقوم بفرض كفاية ، ولأن فائدة علمه ليست مقصورة عليه بل هي لمجموع الأمة ، فمن حقه أن يعان من مال الزكاة لأنها لأحد رجلين ، إما لمن يحتاج من المسلمين ، أو لمن يحتاج إليه المسلمون ، وهذا قد جمع بين الأمرين ، واشترط بعضهم أن يكون نجيباً يرجى تفوقه ، ونفع المسلمين به ، وإلا لم يستحق الأخذ

(١) العبادة في الإسلام : يوسف القرضاوي : ص/٢٦٢ ، ومشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام : يوسف القرضاوي : ص/٨٤-٨٥ ، وفقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٣٨٥-٣٨٦ .

من الزكاة ، ما دام قادراً على الكسب ، وهو قول وجيه ، وهو الذي تسير عليه الدول الحديثة حيث تنفق على النجباء والمتفوقين ، بأن تتيح لهم دراسات خاصة أو ترسلهم في بعثات خارجية أو داخلية .. (٢) .

وقد حدد الإسلام الجهات التي تصرف إليها الزكاة والتي بينتها الآية الكريمة في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِيْنَ وَالْعَامِلِيْنَ عَلَيْهَا * وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوْبُهُمْ * وَفِيْ الرِّقَابِ * وَالْغَارِمِيْنَ * وَفِيْ سَبِيْلِ اللهِ * وَابْنَ السَّبِيْلِ * فَرِيْضَةً مِّنَ اللهِ * وَاللهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ ﴾ (التوبة/٦٠) ، وتعطى الزكاة للمسلم ، إذا كان من أهل السهام ، وذوي الاستحقاق ، سواء أكان صالحاً أم فاسقاً "الفاسق هو المرتكب للكبيرة أو المصر على الصغيرة" إلا إذا علم أنه سيستعين بها على ارتكاب ما حرم الله ، فإنه يمنع منها ، سداً للذريعة ، فإذا لم يعلم عنه شئ ، أو علم أنه سينتفع بها ، فإنه يعطى منها ، وينبغي أن يخص المزكي بزكاته أهل الصلاح والعلم ، وأرباب المروءات ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي الكريم ﷺ قال : (مثل المؤمن ، ومثل الإيمان ، كمثل الفرس في آخيته يجول ، ثم يرجع إلى آخيته ، وإن المؤمن يسهر ثم يرجع إلى الإيمان ، فأطعموا طعامكم الأتقياء ، وأولوا معروفكم المؤمنين) (رواه أحمد بسند جيد وحسنه السيوطي) وقال ابن تيمية : فمن لا يصلي من أهل الحاجات ، لا يعطى شيئاً حتى يتوب ، ويلتزم أداء الصلاة ، وهذا حق ، فإن ترك الصلاة إثم كبير ، لا يصح أنه يعان مقترفه ، حتى يحدث الله توبة ، ويلحق بتارك الصلاة ، العابثون ، والمستهترون الذين لا يتورعون عن منكر ، ولا ينتهون عن غي ، والذين فسدت ضمائرهم ،

(٢) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام : يوسف القرضاوي : ص/٨٤-٨٥ .

وانطمست فطرهم ، وتعطلت حاسة الخير فيهم ، فهؤلاء لا يعطون من الزكاة إلا إذا كان العطاء يوجههم الوجهة الصالحة ويعينهم على صلاح أنفسهم ، بإيقاظ باعث الخير ، واستثارة عاطفة التدين ... (٣) .

وكما حدد الإسلام الجهات التي تصرف إليها الزكاة فقد حدد أيضاً الجهات التي لا تحل لهم الزكاة ولا يستحقونها وهم :

١- الكفرة والملاحدة ، وهذا مما اتفقت عليه كلمة الفقهاء ، ففي الحديث : (تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) والمقصود بهم أغنياء المسلمين وفقراؤهم دون غيرهم ، قال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أن الذمي لا يعطى من زكاة الأموال شيئاً ، و يستثنى من ذلك المؤلفة قلوبهم ، ويجوز أن يعطوا من صدقة التطوع ، ففي القرآن : ﴿ وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيْناً وَيَتِيْماً وَأَسِيْراً ﴾ ، وفي الحديث : (صلي أمَّك) وكانت مشركة .

٢- بنو هاشم والمراد بهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس وآل الحارث ، كما تحرم الصدقة على بني عبد المطلب ، فعن المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، أنه ، والفضل بن العباس انطلقا إلى رسول الله ﷺ قال : ثم تكلم أحدنا فقال : يا رسول الله ، جئناك لتؤمرنا على هذه الصدقات ، فنصيب ما يصيب الناس من المنفعة ، ونؤدي إليك ما يؤدي الناس ، فقال عليه الصلاة والسلام : (إن الصدقة لا تنبغي لمحمد ، ولا لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس) (رواه أحمد ومسلم) ، وفي لفظ : (لا تحل لمحمد ولا لآل محمد) ويجوز أن يكونوا من الأغنياء ، فعن أبي سعيد أن النبي الكريم ﷺ قال : (لا

(٣) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٤٠٤-٤٠٥ .

تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لعامل عليها أو رجل اشتراها بماله أو غارم أو غاز في سبيل الله أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى منها لغني) (رواه أحمد) ، وعن أبي هريرة ﷺ قال : أخذ الحسن تمرة من تمر الصدقة ، فقال النبي الكريم ﷺ : (كخ ، كخ ، لطرحها ، أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة) (متفق عليه) ، وكما حرم رسول الله ﷺ الصدقة على بني هاشم ، حرمها كذلك على مواليهم "أي الأرقاء الذين أعتقوهم" فعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ، أن النبي الكريم ﷺ بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة ، فقال : أصحبني كيما تصيب منها ، قال : لا ، حتى آتي رسول الله ﷺ ، فأسأله ، وانطلق فسأله فقال : (إن الصدقة لا تحل لنا وأن موالي القوم من أنفسهم) (رواه أحمد وأبو داؤد والترمذي) ، وقال : حسن صحيح ، واختلف العلماء في صدقة التطوع ، هل تحل لهم أم تحرم عليهم ؟ قال الشوكاني ملخصاً الأقوال في ذلك : واعلم أن ظاهر قوله : (لا تحل لنا الصدقة) عدم حل صدقة الفرض والتطوع ، قال أبو يوسف وأبو العباس : إنها تحرم عليهم كصدقة الفرض لأن الدليل لم يفصل ، هذا هو الراجح .

٣- صرف الزكاة في وجوه القرب : لا يجوز صرف الزكاة إلى القرب التي يتقرب بها إلى الله تعالى غير ما ذكره في آية : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِيْنِ ﴾ فلا تدفع لبناء المساجد والقناطر ، وإصلاح الطرقات ، والتوسعة على الأضياف ، وتكفين الموتى وأشباه ذلك ، قال أبو داؤد : سمعت أحمد وسئل : يكفن الموتى من الزكاة ؟ قال : لا ، ولا يقضى من الزكاة دين الميت ، وقال : يقضى من الزكاة دين الحي ، ولا يقضى منها دين الميت ، لأن الميت لا يكون غارماً ، قيل : فإنما يعطى أهله ، قال : إن كانت على أهله فنعم .

٤- الآباء والأبناء : اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز إعطاء الزكاة إلى الآباء والأجداد والأمهات والجدات والأبناء وأبناء الأبناء والبنات و أبنائهن ، لأنه يجب على المزكي أن ينفق على آبائه و إن علوا ، وأبنائه ، وإن نزلوا ، وإن كانوا فقراء ، فهم أغنياء بغناه ، فإذا دفع الزكاة إليهم فقد جلب لنفسه نفعاً يمنع وجوب النفقة عليه ، واستثنى مالك ، الجد والجدة وبني البنين ، فأجاز دفعها إليهم لسقوط نفقتهم "يرى ابن تيمية أنه يجوز دفع الزكاة إلى الوالدين ، إذا كان لا يستطيع أن ينفق عليهم وكانوا هم في حاجة إليها" هذا في حالة ما إذا كانوا فقراء ، فإن كانوا أغنياء ، وغزوا متطوعين في سبيل الله ، فله أن يعطيهم من سهم سبيل الله ، كما له أن يعطيهم من سهم الغارمين ، لأنه لا يجب عليه أداء ديونهم ، ويعطيهم كذلك من سهم العاملين ، إذا كانوا بهذه الصفة .

٥- الزوجة : قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على أن الرجل لا يعطي زوجته من الزكاة ، وسبب ذلك : أن نفقتها واجبة عليه ، تستغني بها عن أخذ الزكاة ، مثل الوالدين ، إلا إذا كانت مدينة فتعطى من سهم الغارمين ، لتؤدي دينها ... (٤) .

إذا كان للزوجة مال ، تجب فيه الزكاة ، فلها أن تعطي لزوجها المستحق من زكاتها ، إذا كان من أهل الاستحقاق ، لأنه لا يجب عليها الإنفاق عليه ، وثوابها في إعطائه أفضل من ثوابها إذا أعطت الأجنبي ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ : أن زينب امرأة ابن مسعود قالت : يا نبي الله ، إنك أمرت اليوم بالصدقة وكان عندي حلي ، فأردت أن

(٤) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٣٩٧ إلى ص/٤٠٢ .

أتصدق به ، فزعم ابن مسعود أنه و ولده ، أحق من تصدقت به عليهم ، فقال النبي الكريم ﷺ : (صدق ابن مسعود ، زوجك و ولدك أحق من تصدقت به عليهم) (رواه البخاري) ، وهذا مذهب الشافعي . وابن المنذر ، وأبي يوسف ، ومحمد ، وأهل الظاهر ، ورواية عن أحمد ، وذهب أبو حنيفة وغيره : إلى أنه لا يجوز لها أن تدفع له من زكاتها ، وقالوا : إن حديث زينب ورد في صدقة التطوع ، لا الفرض ، وقال مالك : إن كان يستعين بما يأخذه منها على نفقتها فلا يجوز ، وإن كان يصرفه في غير نفقتها جاز ، وأما سائر الأقارب كالأخوة والأخوات والأعمام والأخوال والعمات والخالات فإنه يجوز دفع الزكاة إليهم ، إذا كانوا مستحقين في قول أكثر أهل العلم ، لقول الرسول الكريم ﷺ : (الصدقة على المسكين صدقة أي فيها أجر الصدقة ، وعلى ذي القربة اثنتان : صلة ، وصدقة) أي فيها أجران ، أجر صلة الرحم وأجر الصدقة (رواه أحمد والنسائي والترمذي وحسنه) ، إعطاء طلبة العلم من الزكاة دون العباد ، قال النووي : ولو قدر على كسب يليق بحاله ، إلا أنه مشتغل بتحصيل بعض العلوم الشرعية ، بحيث لو أقبل على الكسب لانقطع عن التحصيل ، حلت له الزكاة ، لأن تحصيل العلم فرض كفاية ، وأما من لا يتأتى منه التحصيل فلا تحل له الزكاة إذا قدر على الكسب ، وإن كان مقيماً بالمدرسة ، وقال : وأما من أقبل على نوافل العبادات ، والكسب يمنعه منها ، أو من استغراق الوقت بها ، فلا تحل له الزكاة بالاتفاق ، لأن مصلحة عبادته قاصرة عليه ، بخلاف المشتغل بالعلم ... (٥) .

(٥) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٤٠٦-٤٠٧ .

علم مقاصد الشريعة

كتب ، ألفت حول مقاصد الشريعة (٥/الأخيرة)

بقلم : الأستاذ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي
(أستاذ المعهد العالي الإسلامي - حيدرآباد - الهند)

◆ **دور المقاصد الشرعية في حل القضايا المستجدة :**

كثير من الأحكام غير المنصوص عليها تختلف باختلاف الزمان بأسباب ، وهي : فساد خلق الناس وانهياره ، وتغير أحوال الناس السياسية ، وتغير عرف أهل الزمان ، واختراعات واكتشافات العصر والرقي السريع في وسائل الحياة الإنسانية والتوسعة والتسهيل فيها .

◆ **فساد خلق الناس وانهياره :**

وقد كان في أوائل العهد الإسلامي مستوى الخلق الإنساني الإسلامي عالياً ، ومحاسبة النفس موفورةً ، والشعور بالمحاسبة عند الله تعالى ، والخشية الإلهية مسيطرة على النفوس ، وذكرى الآخرة غالبة على الدنيا وما فيها ، ولكن كل ذلك بدأ يتقلل حسب ما بَعُدَ من عهد الرسالة والصحابة شيئاً فشيئاً ، وأشار إلى ذلك النبي الكريم ﷺ في حديثه الشريف الذي رواه البخاري عن عمران بن حصين ﷺ : قال قال رسول الله ﷺ : خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ، ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يُستَشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، ويَنذُرون ولا يفُون ، ويظهر فيهم السِمَن (٧٩) .

(٧٩) صحيح البخاري ، باب فضائل أصحاب النبي الكريم ﷺ : ١/٥١٥ .

فطبعاً بتغير أحوال الناس وفساد خلقهم تتغير الأحكام التي تتبع مستوى الخلق الإنساني ومكارمه وآدابه، مثلاً: إن رسول الله ﷺ أذن بخروج النساء إلى المسجد للصلاة، ولو جعل أفضل صلاتهن في البيت، ثم جاء عهد الصحابة، فأرادوا أن لا يخرجن إلى المسجد بما رأوا فساد الزمان وفتنته في عهدهم، فروى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عمر ﷺ قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لِمَ تخرجين وقد تعلمين أن عمر ﷺ يكره ذلك ويغار، قالت: فما يمنعه أن ينهاني، قال: يمنعه قول رسول الله ﷺ: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" (٨٠).

وعن عبد الله عن أبيه عن النبي الكريم ﷺ قال: إذا استأذنت امرأةُ أحدكم فلا يمنعها (٨١).

وقالت عائشة: لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء، لمنعهن المسجد كما مُنعت نساء بني إسرائيل (٨٢).

ليس مقصد قول عائشة وكراهة عمر إلا حفظ الدين نظراً إلى تغير أحوال الناس وفساد خلقهم وانهياره، كما كان مقصد رسول الله ﷺ من إذنه بخروجهن إلى المسجد حفظ الدين.

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه في صدد ضالة الإبل

(٨٠) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من لا يشهد الجمعة غسل؟ ج/١، ص/١٢٣.

(٨١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد: ج/١، ص/١٢٠.

(٨٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس: ج/١، ص/١٢٠.

والغنم عن زيد بن خالد قال: جاء رجل إلى النبي الكريم ﷺ فسأله عن اللقطة، فقال: اعرف عِفاصَها و وكاءها ثمّ عرّفها سنةً، فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها، قال: فضالة الغنم، قال: هي لك أو لأخيك أو للذئب، قال: فضالة الإبل، قال: ما لَكَ ولها معها سقاؤها وحذاؤها، تَرِد الماءَ وتأكل الشجرَ حتى يلقاها ربها (٨٣)، وفي رواية عنه، قال: كيف ترى في ضالة الغنم، قال النبي الكريم ﷺ: خذها فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب، قال: كيف ترى في ضالة الإبل، قال: فقال: دَعْها، فإن معها حذاءها وسقاءها، تَرِدُ الماء، وتأكل الشجر حتى يجدها ربّها (٨٤).

لأن الغنم لا تستطيع أن تحافظ على نفسها وتذب عن ذاتها عادة، فأمر النبي الكريم ﷺ من وجدها ضالة أن يأخذها، ونبه على المعنى وهو خوف الضيعة (٨٥) بخلاف ضالة الإبل، فإنها تقدر على المدافعة عن نفسها عادة، والمحافظة عليها بأن ترد الماء وتأكل الشجر والحشيش وتحيى، لا يأخذها ظالم حتى يجدها ربّها أي مالكها، أو تصل منزل مالكها بعد أيام، فمقصد قول النبي الكريم ﷺ حفظ المال، لأنه كان في عهده حفظ الغنم بطريق أخذ الواجد، وحفظ الإبل بطريق تركها، فلما جاء عهد خلافة عثمان بن عفان ﷺ، فإنه أمر الواجد بأخذ الإبل أيضاً؛ وجمعها في بيت المال، لأنه رأى حفظها في أخذ الواجد وجمعها في بيت المال، وضياعها في تركها و وصولها

(٨٣) صحيح البخاري، كتاب المساقات، باب شرب الناس و الدواب من الأنهار: ج/١، ص/٣١٩.

(٨٤) صحيح البخاري، كتاب اللقطة، باب ضالة الغنم: ج/١، ص/٣٢٧.

(٨٥) انظر بدائع الصنائع: ج/٥، ص/٢٩٧.

في يد الظالم.

وشرط القرآن الكريم لقبول قول الشاهد أن يكون عادلاً، وشرط القرآن الكريم لقبول قول الشاهد أن يكون عادلاً، فقال: ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (٨٦) فذهب من الأئمة المجتهدين الإمام أبو حنيفة وصاحبه الإمام محمد والإمام محمد بن إدريس الشافعي إلى أن لا تقبل شهادة الفاسق، وإن قبل القاضي شهادته وحكم بها، فلا ينفذ قضاؤه عند الإمام الشافعي. خلافاً للإمام أبي حنيفة، فإنه يُجيز قضاءه، وأفتى بقوله مَن بعده من الفقهاء الشوافع أيضاً، لكن الإمام أبا يوسف (١١٣-١٨٣هـ) لا يُبطل شهادة الفاسق مطلقاً ولا يوجب ردها، بل يقول:

"إن الفاسق إذا كان وجيهاً في الناس ذا مروءة، تقبل شهادته، لأنه لا يتجاسر لوجاهته، ويمتنع عن الكذب لمروءته" (٨٧).

ثم اتخذ قول الإمام أبي يوسف جمهور الأحناف شيئاً فشيئاً، وصار مذهبهم، بل تطرق إليه الخِفة والسهولة على مرّ العصور والأزمان، وإن لم يراعوا فيه الخفة، لتعذرت إقامة العدل بين الناس، وانسدّ باب الحكم بالقسط، فيقول القاضي الطرابلسي: "إذا كان الرجل يشرب سِرّاً وهو ذو مروءة، فللقاضي أن يقبل شهادته" (٨٨).

ويقول القاضي ثناء الله الباني بتي (ت/١٢٢٥هـ): "بل في زماننا هذا الفاسق إذا كان وجيهاً ذا مروءة يغلب على الظن أنه لا يكذب في الشهادة أو دلّت القرائن على صدقه، تقبل شهادته" (٨٩).

---

(٨٦) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٨٧) الهداية مع فتح القدير: ج/٧، ص/١١.

(٨٨) معين الحكام: ص/١٤٦.

(٨٩) التفسير المظهري: ج/١، ص/٣٢٧.

◆ تغير أحوال الناس السياسية:

بعض الأحكام والفتاوى التي تتعلق بأحوال الناس السياسية الخاصة، تتغير بتغيرها، منها مسألة الاستيجار على الأذان، والإمامة، وتعليم القرآن، والفقه، فمنعه الإمام أبو حنيفة وصاحباه، بما كان في عهدهم المسلمون غالبين سياسياً، ونظام بيت المال قائماً عاملاً، فكانت وظائف المعلمين وأئمة المساجد ومؤذنيها جارية منه، فلما تغيرت أحوال المسلمين السياسية، وزالت قوتهم القاهرة. وتعطل نظام بيت المال، وانسدّت الوظائف، فاضطر المعلمون إلى كسب المعاش، وتركوا تعليم القرآن والفقه والإمامة والأذان، فأجاز الفقهاء المتأخرون الأجرة علىٰ كلها مراعاة لمصلحة الدين، وإن لم يجيزوها لضاع الدين، فيقول العلامة علاء الدين الحصكفي:

"لا تصح الإجارة ... لأجل الطاعات، مثل الأذان، والحج، والإمامة، وتعليم القرآن، والفقه. ويفتى اليوم بصحتها لتعليم القرآن والفقه، والإمامة والأذان" (٩٠).

وقال شيخ الإسلام برهان الدين المرغيناني: "وبعض مشايخنا استحسنوا الاستيجار على تعليم القرآن اليوم، لأنه ظهر التواني في الأمور الدينية، ففي الامتناع يضيع حفظ القرآن، وعليه الفتوى" (٩١).

وقال المحقق ابن عابدين الشامي: "فقد اتفقت النقول عن أئمتنا الثلاثة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد أن الاستئجار على الطاعات باطل، لكن جاء من بعدهم من المجتهدين الذين هم أهل

---

(٩٠) الدر المختار مع رد المحتار: ج/٩، ص/٧٧، وهو المعتمد، الأشباه: لابن نجيم: ج/١، ص/٤٤.

(٩١) الهداية: ج/٣، ص/٣٠٣، وراجع أيضاً رد المحتار: ج/٩، ص/٧٧.

التخريج والترجيح ، فأفتوا بصحته على تعليم القرآن للضرورة ، فإنه كان للمعلمين عطايا من بيت المال وانقطعت ، فلو لم يصح الاستئجار وأخذ الأجرة لضاع القرآن ، وفيه ضياع الدين لاحتياج المعلمين إلى الاكتساب ، وأفتى من بعدهم أيضاً من أمثالهم بصحته على الأذان والإمامة ، لأنهما من شعائر الدين ، فصححوا الاستئجار عليهما للضرورة أيضاً ، فهذا ما أفتى به المتأخرون عن أبي حنيفة وأصحابه ، لعلمهم بأن أبا حنيفة وأصحابه لو كانوا في عصرهم لقالوا بذلك ورجعوا عن قولهم الأول (٩٢) .

♦ **عرف الناس وتعاملهم :**

كثير من الأحكام الشرعية غير المنصوص عليها ، التي تبتنى على العرف والعادة ، تتغير بتغير عرف الناس الحادث وتعاملهم المتجدد .

فيقول العلامة القرافي المالكي (ت/٦٨٤هـ) : "إن كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة" (٩٣) .

لذلك فأسجل بعض المسائل الفقهية التي تغيرت بتغير العرف والعادة مع بيان رعاية المقاصد الشرعية : فمنها :

لو زاد الدم على أكثر الحيض والنفاس ، تردّ إلى أيام عادتها مراعاةً لمصحلة الدين وحفظه (٩٤) .

يجوز للقاضي أن يقبل الهدية ممن له عادة بالإهداء له قبل تولية القضاء بشرط أن لا يزيد على العادة السابقة ، فإن زاد عليها رد

(٩٢) شرح عقود رسم المفتي : ص/٣٧-٣٨ .

(٩٣) الإحكام في تميز الفتاوى من الأحكام : ص/٦٧-٦٨ .

(٩٤) الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري مع الحموي : ج/١ ، ص/٢٦٩ .

الزائد (٩٥) .

فيه حفظ الدين من تجنيبه من اتهام الرشوة وإقامة العدل .

ولو باع التاجر في السوق شيئاً بثمن ، ولم يصرحا بحلول ولا تأجيل ، و كان المتعارف فيما بينهم أن البائع يأخذ كل جمعة قدراً معلوماً ، انصرف إليه بلا بيان (٩٦) .

فيه حفظ المال من الضياع وأكله بالباطل .

ولو وقف بلداً على الحرم الشريف ، وشرط النظر للقاضي ، هل ينصرف إلى قاضي الحرم ، أو قاضي البلدة الموقوفة ، أو قاضي بلد الواقف ؟ يمكن أن يقال إن الأرجح كون النظر لقاضي البلدة الموقوفة ، لأنه أعرف بمصالحها ، فالظاهر أن الواقف قصده ، وبه تحصل المصلحة (٩٧) .

فيه حفظ مال الوقف بحيث إنه يسهل إبقاؤه على حاله الأصلي كما كان عند وقف الواقف ، ورعاية مشيئته .

♦ **اختراعات واكتشافات العصر :**

هناك بعض القضايا التي أفتى فيها الفقهاء وقضى القضاة نظراً إلى اختراعات زمانهم و وسائل عهدهم الحديثة ، لكن في العصر الراهن الرقي لم تبق حاجة إليه بوجود أعلى اختراعات واكتشافات العصر ، وبمجيئ نظام منضبط متين جديد ، وبإمكان تحقيق المقاصد بأسهل طريق وأسرع وسيلة بالنسبة إلى زمانهم ، كمثل :

ومن المعلوم أنه من شرائط صحة البيع أن يكونَ المبيع معلوماً

(٩٥) نفس المصدر : ج/١ ، ص/٢٧٠ .

(٩٦) نفس المصدر : ج/١ ، ص/٢٧٢ .

(٩٧) الأشباه مع الحموي : ج/١ ، ص/٢٨٤ .

معيّناً ممتازاً ، سواء كان من الأموال المنقولة أو غير المنقولة ، فبناءً على ذلك أوجب الفقهاء في بيع الأرض مساحتها وتعيينها وتحديدها وحضور البائع عندها ، ليُسلمها إلى المشتري ، لأن الأرض لا تتعين للبيع حتى يقول البائع عندها : إني أبيع الأرض ، لكن في العصر الحاضر تُعيّن الأرقام للأراضي بالمساحة (SURVEY) فتتعين الأراضي تحت سلسلة الأرقام ، فالظاهر أنه يكفى للبيع إخبار رقم قطعة أرض ورقم المساحة في ذلك الوضع .

وما ذكر الفقهاء من أمارات بقاء الجنون والبكارة وإزالتهما ، ذلك أيضاً من قبيل تلك المسائل التي أفتوا فيها حسب ما رأوا في ضوء وسائل التحقيق لزمانهم ، لكن في زماننا اليوم تطورت وسائل وآلات طبية أكثر من زمانهم ، للاطلاع على مثل هذه المسائل ، فتُستخدم تلك الوسائل الطبية العصرية لتحقيق بقاء الجنون والبكارة وإزالتهما ، لأن الوسائل لا تكون مقصودة بذاتها ، بل هي تكون أرقى ذريعة للوصول إلى المقصود باعتبار الزمان والمكان ، فإنها تتغير بتغيرهما ، فلا بأس باستخدامها لمعرفة المقصود والوصول إليه ، ثم اتفق جمهور الفقهاء على أن "الأصل في الأشياء الإباحة" (٩٨) .

♦ **ملاحظات :**

= إن الخطوة إلى علم مقاصد الشريعة من جديد خطوة محمودة حسنة لا شك فيها ، ولها فوائد جمّة في مجالات الفقه ، والدعوة على وجه الخصوص لكن ينبغي لحملة لوائها أن يسلكوا مسلكاً وسطاً ، ويحترزوا من المغالاة فيها ويجتنبوا عن ترك العقل حرّاً ، وإلا يؤدى

(٩٨) كما تحدث بذلك شيخي فضيلة الأستاذ خالد سيف الله الرحماني في مقدمة كتابه الشهير: جديد فقهي مسائل : ج/١، ص/٧٧ (بالأردية) أي قضايا فقهية معاصرة.

ذلك إلى الاعتزال ، لأن المعتزلة درسوا كلام الله ﷻ في ضوء العقل الإنساني الناقص ، وغالوا فيه حتى جعلوا العقل حاكماً ، فضلّوا وأضلوا الناس ، فيناسب أن يتخذ طريق الاعتدال بين الإفراط والتفريط في هذا الشأن ، أي يعتبر الحكم الإلهي وتوليته بالعمل واتباعه أصلاً ، وإن لم يدرك العقل كنهه وسره ومقصده . لأن العقل له طاقة محدودة قصيرة ، لا يستطيع أن يدرك كل شئ ، بل صدق من قل : إن سلسلة الوحي الإلهي الذهبية تبتدئ من حيث تعجز طاقة العقل الإنساني ، لأنه إن أدرك كل شئ ، لا يحتاج الإنسان إلى الشريعة الإلهية المطهرة المنزلة من السماء ، فالحاصل أن يعتبر الحكم الإلهي أصلاً مخدوماً متبوعاً ، ويُجعل العقل خادماً وتابعاً له ، ولو اعتني به الشرع الإسلامي أشد الاعتناء حتى اعتبر الفقهاء حفظ العقل من مقاصد الشريعة الخمسة الأساسية ، وقد صدق الإمام الشاطبي :

"لو جاز للعقل تخطى مأخذ النقل ، لجاز إبطال الشريعة بالعقل ، وهذا محال باطل" (٩٩) .

= ثم اتباع الحكم الإلهي أصل أصيل والوقوف على مقاصد الشريعة ومصالحها وأسرارها فرع ، إن اطلع عليها ، فحسن ، وإن لم يطلع عليها ، لا يجوز ترك العمل بالأحكام الشرعية .

= ومما لا شك فيه أن الأحكام الشرعية لا تغاير العقل الإنساني ، بل يمكن أن تكون ما وراء العقل الذي يعجز عن إدراك سرها وعلتها وكنهها .

ولم يجعل الشارع نجاح الإنسان موقوفاً على معرفة فوائد الأحكام الشرعية وغاياتها ، بل هي مرغّبة للناس إلى اتباع الأحكام الشرعية ، ليسهل عليهم العمل بها ، فالواجب أن يقام علم المقاصد

(٩٩) الموافقات : ج/١ ، ص/٨٧ .

الشرعية مقام الترغيب ، وينزل منزلته ، ولا يعدل عنه ، ولا يعطى له مكانة رئيسية أصلية ، وإلا يلزم منه إهمل النص .

أو ينبغي أن تنزل مكانة مقاصد الشريعة على طمأنينة القلب بالأحكام الشرعية ، كما حكى القرآن قول إبراهيم عليه السلام وحواري عيسى بن مريم عليه السلام ، فقال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّ أَرِنِي * كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى * قَالَ : أَوَلَمْ تُؤْمِن * قَالَ : بَلَى * وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي * قَالَ : فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ * فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ * ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً * ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً * وَاعْلَمْ * أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠٠) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ * هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ * قَالَ : اتَّقُوا اللهَ * إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا : نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا * وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا * وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا * وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١٠١) .

= لم يكن بدّ من وقوع الاختلاف في معرفة مقاصد الشريعة وأسرارها وعللها وحِكَمِها ، كما وقع الاختلاف في استنباط الأحكام التكليفية ، لأن العقول مختلفة متفاوتة ، واختلاف العقول لا يضر بخلاف اختلاف القلوب ، فإنه وباء .

= إن مقاصد الشريعة تختلف عن الأحكام الشرعية التكليفية باعتبار المراتب ، فمن الإمكان أن يعتبر أمر من التحسينيات لكن بالنظر إلى الحكم الشرعي التكليفي يُعدّ حراماً ، أو واجباً ، أو شرطاً ، مثلاً : إن حكم ستر العورة يعتبر من التحسينيات في علم المقاصد (١٠٢) وباعتبار الحكم التكليفي قدر خاص منه من شرائط الصلاة .

---

(١٠٠) سورة البقرة ، الآية/٢٦٠ . (١٠١) سورة المائدة ، الآيتان/١١٢-١١٣ .

(١٠٢) الوجيز في أصول الفقه : ص/١٨١ .

دراسات و أبحاث:

ملامح إسلامية في شعر شوقي !

(٣)

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

◆ الجانب السياسي :

قبل أن نتكلم عن هذا الجانب في شعر شوقي نودّ أن نوضّح أن الإسلام ليس مجرد عقيدة وعبادات وأصول دينية ، بل هو نظام وشريعة وأنظمة وأعمال أيضاً ، أو بعبارة أخرى هو جامع بين الدين والدولة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ﴾ (سورة النساء/١٠٤) ، فلا يغفل الإسلام جانب السياسة ، وكيف يغفله وهو الجزء المكمّل للدين ؛ ولا يمكن تحقيق الحكم الإسلامي أو إقامة الدولة الإسلامية إلا باتّباع تلك النظم الحكيمة التي سنّها الإسلام في سياسة البلاد ، وشئونها الإدارية والقضائية .

ولعلّ شاعرنا كان يرى ذلك ، فشعره في الناحية السياسية للإسلام ، يحتلّ جزءاً كبيراً من ديوانه ، فهو كثيراً ما يدعو المسلمين إلى نبذ التواكل ، وإلى الجهاد في سبيل الحياة الحقة ، والوحدة في ظل الدين الإسلامي ، وبناء الدولة الإسلامية على أسس صحيحة ، ومن هذا المنطلق كان يذود عن الخلافة ، ويساند الجامعة الإسلامية ويناضل الاحتلال ، ويتعاطف مع الشعوب الإسلامية ، ويبكي على مجد الإسلام الغابر والدول الزائلة ، ويستنبط منها العظات ؛ ليعتبر بها المسلمون ، ويندفعوا إلى العمل في سبيل العزة والكرامة والسيادة .

♦ الخلافة :

قدّمنا أن المسلمين في عصر شوقي ، يجدون في تأييد الخلافة الإسلامية إعزازاً للإسلام والمسلمين وتجميعاً للقوة ، واستجابة لما يأمر به الإسلام من الاتحاد والتناصر ، وهالهم أن رأوا الدول الأوربية تتألب للقضاء على الخلافة الإسلامية ، الجامعة الروحية للمسلمين حينئذٍ ، متمثّلة في تركيا ، بدافع من التعصب الديني والجشع الاستعماري ، فاقتضاهم هذا العدوان أن يؤازروا الخلافة في محنتها ومحنتهم .

وشوقي مسلم معتزّ بإسلامه ، متعلق بأسباب قوته ، حريص على وحدة المسلمين ، و علوّ شأنهم ، فهو يجد أيضاً الخلافة رمزاً للدين ، وعلماً لجلاله ، كما كانت وقتئذٍ من أهم الروابط التي تجمع المسلمين ؛ فدفعه شعوره الديني أن يزداد تعلّقاً بها وإشادة بشأنها ، فحين رأى الخلافة في الخطر ، يبشّرها بالبقاء ، فقد نجت في الماضي أيضاً مما أحاط بها من أهوال ، فكيف يستطيع الناس إطفاء جذوة أوقدها الله ؟ ويتمنّى لها الخلاص من أنياب الاستبداد ، والعودة إلى ما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين :

يا جذوةَ التوحيد ... لل لكِ مطفئٌ
والله جلّ جلاله مُزكيكِ
يرميكِ بالأمم الزمانُ و تارةً
بالفرد واستبداده يرميكِ .
عودي إلى ما كنتِ في فجر الهدى
عُمَرٌ يسوسكِ و العتيقُ يليكِ (١٤٦)

(١٤٦) الشوقيات : ج/٧ ، ص/١٦٧ .

ويمدح الخليفة عبد الحميد ، ويتّجه بشعره إليه منذ فجر حياته ؛ لأنه يرى فيه موئلاً للإسلام والمسلمين ، كما يراه داعياً إلى الجامعة الإسلامية التي آمن بها ، لأن فيها تكتل المسلمين ، وتنبيههم من غفلتهم ، وإعدادهم لمواجهة الاستعمار ، متأثراً بجمال الدين الأفغاني الذي حمل علَمَي الإصلاح الديني والسياسي ، فيمدح الخليفة في قصيدة ويدعو إليها :

رضي المسلمون و الإسلامُ
فرعَ عثمان ، دُم ، فداك الدوام
إيه عبدَ الحميد جلّ زمانٌ
أنت فيه خليفة و إمام
عُمَرٌ أنت ، بيد أنك ظل
للبرايا و عصمة و سلام
أمّة الترك و العراقُ و أهلوه
و لبنانُ و الربى و الخيام
عالم لم يكن لِيُنظم لو لا
أنك السِّلمُ وسطَه و الوئام
أيقولون سكرة لن تجلى
و قعود مع الهوى و قيام
مُقَلٌ عانت الظلام طويلاً
فعماها في أن يزول الظلام (١٤٧)
أيها النافرون عودوا إلينا
ولِجوا الباب إنه الإسلام

(١٤٧) مقلٌ : جمع مقلة ؛ وهي العين .

غرض أنتم و في الدهـــــر سهم
يوم لا تدفع السهامَ السهـــامُ (١٤٨)

وحين ينجو الخليفة من القذيفة التي ألقيت عليه عـام ١٩٠٥م، يسارع شوقي فيهنّئه لأن فيه نجاة للإسلام والمسلمين، ويتصـور الدنيا هاتفة بنجاة الخليفة شاكرة ربّها، والذين اقترفوا هـذه الجريمة يعادون الدين لا الدولة:

هنيـئاً أميـرَ المؤمنين فإنمـــا
نجـاتك للدين الحنيف نجـــاة
يـــكاد يسير البيت شكراً لربّـــه
إليـــك و يسعى هاتفاً عرفـــات
فلـــو لاك مُلك المسلمين مضيّـعٌ
و لـــو لاك شملُ المسلمين شتـــات
يعادون ديناً لا يعادون دولـــــة
لقـــد كذبت دعوى لهم وشكاة (١٤٩)

على أن شوقي كان يريد من الخلافة أن تكون شورية، كما كان يذهب جمال الدين الأفغاني في دعوتـه للجامعة الإسلامية أن يكون أساسها الشورى (١٥٠)، فموقف شوقي منـه موقـف المؤيـد؛ ولذلك حين يعلن عبد الحميد الدستور سنة ١٩٠٨م، يرتفع صوت شوقي بالبشرى، ورنّة الفرح يحملها إلى البريّة كلها:

(١٤٨) الشوقيات: ج/١، ص/٢٣٩-٢٤٠-٢٤١-٢٤٢.
(١٤٩) الشوقيات: ج/١، ص/٩٢-٩٣، ٩٥.
(١٥٠) انظر: زعماء الإصلاح - لأحمد أمين: ص/١٠٠.

بشرى البريّة قاصيها و دانيهـــا
حاط الخلافة بالدستور و حاميهـــا
أسدى إلينـــــا أمير المؤمنين يداً
جلّت كما جلّ فـــي الأملاك مسديها
إن الندى و الرضى فيـــه و أسرته
والله للخير هـــاديه و هـــاديهـــا
و إنما هـــــي شورى الله جاء بهـــا
كتـــابُه الحقّ يُعليها و يُغليها (١٥١)

وشوقي لم يكن يكتفي بمدح الخليفة والتنويه بأعمالـه؛ لكونـه زعيماً للمسلمين بل يوجّهه إلى واجباته، ويطلب منه إصلاح الأمـور، وردع من آذى المسلمين، فثار شوقي على شـريف مكـة؛ لمـا أسـاء إلى الحجاج في سنة ١٩٠٤م، واستصرخ الخليفة واسـتنهض لتـأديب حـاكم مكة في صورة مثيرة للنخوة والغيرة على الدين، فقد بلغت المظالم منـه إلى أن جأر بالشكوى منها البيت الحرام، والحجاز كله، والحجيج مـن أصقاع العالم، ثمّ زاد عليه تحريضاً آخر، فكأنه يقول لـه: لقـد اسـتبد الشريف في تلـك البقـاع، وتمـرّد علـى الخلافـة والخليفـة، ويسـتثير عاطفـة الخليفة الدينيـة بقولـه: إذا لم تنتقـم للحجـاج فـالله حسـبهم وليّهم:

ضجّ الحجاز و ضجّ البيت و الحـــرم
و استصرخت ربّها فـــي مكة الأمم
قـــد مسّها في حماك الضُرّ فاقض لها
خليفـــــة الله: أنت السيّد الحكَم

(١٥١) الشوقيات: ج/١، ص/٢٨٦-٢٨٧.

لك الربـــوع التي ريع الحجيجُ بها
أ للشريف عليهـــا أم لك العلم
أهينَ فيهـا ضيوفُ الله و اضطُهدوا
إن أنت لـــم تنتقم فالله منتقـــم
يدُ الشريف علـى أيدي الولاة علتْ
و نعلـه دون ركـــن البيت تستلم
أدّبـــه أدّب أميرَ المؤمنين فمـــا
في العفو عن فاسق فضل ولا كرم (١٥٢)

وشاعرنا يطرب لانتصار الدولة العثمانية، ويجد في انتصارهـا نصرة للإسلام والمسلمين، ومن ذلك قصيدة (صدى الحرب) التي مجّد فيها السلطان عبد الحميد وأشاد انتصار جيوشه، وعبّر عن فرحة الدول الإسلامية، ومشاركتها سرورَ دولة الخلافة ساخراً بأعدائها:

بسيفـــك يعلـو الحق و الحق أغلب
و ينصـــر دينَ الله أيّان تضـــرب
فأدّب بـــــه القوم الطغاة فإنّه
لنعم المربى للطغـــاة المـــؤدبُ
و تمّ لنا النصرُ المبين علـــى العدا
و فتحُ المعالي والنهـار المذهب (١٥٣)

ويحزن شوقي وينـوح حينمـا تنـهزم الدولـة العثمانيـة، فلمّـا سقطت أدرنه في مقدونية سنة ١٩١٢م في يد البلغار، حزن شوقي، وتفجّع، وقل قصيدة حارة سمّاها (الأندلس) الجديدة، لأن في سـقوطها

(١٥٢) الشوقيات: ج/١، ص/٢١٧-٢١٢.
(١٥٣) الشوقيات: ج/١، ص/٤٢-٥٠.

تقويضاً لركن من مجد الإسلام، كما كان في سقوط الأندلس تقليصاً لظله الوارف:

يا أخـــت أنـــدلس عليـــكِ سلام
هـــوتْ الخلافةُ عنـــكِ و الإسلام
نـــزل الهـــلال عن السماء فليتها
طُويتْ و عـــمّ العالمين ظـــلام
جرحـــان تمضـــى الأمّتان عليهما
هـــذا يسيل و ذاك لا يلتـــام
بكما أصيب المسلمـــون و فيكما
دُفِـــن اليراعُ و غُيّب الصمصـــام
لـــم يُطوَ مأتمهـــا، و هذا مأتم
لبسوا السواد عليكِ فيه و قاموا (١٥٤)

وإذ كان شوقي يجد في الخلافة مجد الإسـلام، وعـزّ المسلمين، وحمايتهم من عدوان الطامعين، فقد جزع حينما ألغى مصطفى كمال الخلافة، ونفى الخليفة، فرثى الخلافة رثاء الملتاع، فقد انفصمت تلك الرابطة التي تضمّ المسلمين في علاقة روحية صافية:

عـادت أغـاني العرس رجعَ نُواح
و نُعيتِ بـــين معـــالم الأفراح
كُفّنتِ فـــي ليل الزفاف بثوبه
و دُفنتِ عنـــد تبلّج الإصبـــاح
ضجّت عليـــك مآذنٌ و منـــابرٍ
و بكت عليـــك ممالكٌ و نـــواح

(١٥٤) الشوقيات: ج/١، ص/٣٣٠-٣٣١، اليراع: القلم والصمصام: السيف.

و عـــلاقةٌ فُصِمتْ عرى أسبابهـــا
كانت أبرَّ عـــلائـــق الأرواح (١٥٥)

وهذا الرثاء أكبر دليل على أن شوقي كـان يصـدر في قصـائده عن الخلافة والخليفة عن عقيدة دينية عميقة ؛ إذ نفض شوقي يـده مـن الخلافة وتركيا بعد هذا الرثاء ، ولم نسمع له بعد ذلك شيئاً (١٥٦) .

♦ ٢- الوطنية الإسلامية :

شوقي يحب مصر حبًّا يسرى في دمه ، ويخلـص الـولاء لوطنـه ؛ فهو القائل :

وطني لـــو شُغِلْتُ بالخلد عنـــه
نازعتني إليه فـــي الخلد نفسي (١٥٧)

وقل :

أحبكِ مصرُ من أعماق قلبـــــي
و حبُّك في صميم القلب نامي (١٥٨)

وشارك الحركة الوطنية عندما كان يتزعّمـها الخديـوي عبـاس ، وقـل قصـائد رائعـة في الوطنيـة (١٥٩) ، ومـن أروع قصـائده في ولاء مصر "كبار الحوادث في وادي النيل" ، كمـا كـان علـى اتصـال وثيـق بمصطفـى كـامل الـذي حمـل لـواء الحركـة الوطنيـة لتقويـض أركـان الاحتـلال الأجنبي مـن البـلاد ، وشـارك في جـــهاده (١٦٠) ونـــاهض

(١٥٥) الشوقيات : ج/١ ، ص/١٠٥-١٠٦ .
(١٥٦) انظر : دراسات أدبية - لعمر الدسوقي : ص/١٦٧ ، (ط/٢ ، دار نهضة مصر للطبع) ، و وطنية شوقي - للدكتور الحوفي : ص/٣٩١ .
(١٥٧) الشوقيات : ج/٢ ، ص/٤٦ . (١٥٨) الشوقيات : ج/١ ، ص/٢١١ .
(١٥٩) انظر : وطنية شوقي : ص/١٠٤ ، والاتجاهات الوطنية : ص/١٨١ .
(١٦٠) انظر : وطنية شوقي : ص/٩٩ .

الاحتلال ، وعبّر عن بغضه له وندّد بمظالمه (١٦١) ، ولمّا رجع من منفـاه اختلط بأبناء الوطن ، وكان النـاطق بلسـانهم ، والمعبّر عـن آمـالهم ، و أشاد بمجاهدي الوطنيـة بصـوت أقـوى و أشـد ، كمـا أشـاد بثـورة ١٩١٩م (١٦٢) ، ولكنه مع هذه الوطنية الصادقة لم يتخلّ عـن العاطفـة الدينية ، ولم يذهب مع الفريق الذي يدعو إلى الوطنية الخالصة المادية ، بـل ذهـب إلى رأى مصطفـى كـامل - و أسـلفنا آراءهـم في الفصـل الأول (١٦٣) - أن تستقل مصر استقلالاً تاماً على أن ترتبـط بالخلافـة برابطة الإسلام (١٦٤) ، فكانت وطنية مختلطة بالدين ، ويدل على هذه النزعة قوله للسلطان عبد الحميد مصرّحـاً بـأن مصـر تحـبّ تركيـا لمـا بينـهما مـن روابـط دينيـة ، ولكنـها حريصـة علـى كيانـها ، سـاعية لاستقلالها من استبداد الاحتلال :

قـــال العذول : خرجنا من محبّتكم
من الوقـــار فيا صدقَ الذي زعما
فمـا على المرء في الإخلاص من حرج
إذا رعـى صلـة فـــي الله أو رَحِما
نحنـــو عليكم و لا ننسى لنـــا وطناً
و لا سريراً و لا تاجاً و لا عَلَماً (١٦٥)

ويرثى صديقه مصطفى كامل زعيم الوطنية ، فيرى فيه مجاهداً في سبيل الله وخادماً للإسلام ، ومواليا للخليفة ، فيقول :

(١٦١) نفس المصدر : ص/١٥٠ .
(١٦٢) نفس المصدر : ص/١٩٥-١٩٧ . (١٦٣) انظر : ص/١٧ .
(١٦٤) انظر : الاتجاهات الوطنية : ص/٨٢ وما بعدها ، و وطنية شـوقي : ص/٣٧٧، ٣٩٤ ، وفي الأدب الحديث - لعمر الدسوقي : ج/١ ، ص/٣٠ .
(١٦٥) الشوقيات : ج/١ ، ص/٢١٧ .

يا خادم الإسلام أجرُ مجاهد
في الله من خلد و من رضوان
لما نُعيتَ إلى الحجاز مشى الأسى
في الزائرين ورُوِّع الحرمان
السكّةُ الكبرى حيال رباهما
منكوسةُ الأعلام و القضبان (١٦٦)
لم تألُها عن الشدائد خدمةً
في الله و المختار و السلطان (١٦٧)

و لأن المتدين بالدين الإسلامي، متى رسخ فيه اعتقاده، يلهو عن جنسه وشعبه، ويلتفت عن الرابطة الخاصة إلى العلاقة العامة، وهي علاقة المعتقد ... فقد قال رسول الله ﷺ: "ليس منا من دعا إلى عصبية ..." (١٦٨)، ومن هذا المنظور الإسلامي كان ينطلق شوقي في وطنيته، وتتسع نظرته فينظر إلى العالم الإسلامي كله كنظره إلى مصر؛ فلا فرق بينها وبين أية دولة إسلامية أخرى (١٦٩)، يتمنى لها كلها العزة والبأس، ويتوجّع لما هي فيه من نوم عميق، مع أنها تحمل نورين: نور القرآن ونور الحديث، فيقول مخاطب الخديوي بمناسبة سفره للحج أن يبلغ إلى الرسول الكريم ﷺ حال أمته، ويدعو الله أن يشد أزر المسلمين، وأن يوفقهم للعمل على إعلاء شأن الدين وقوّته:

فقل لرسول الله: يا خير مرسل
أبثّك ما تدري من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد و غربها
كأصحاب كهف في عميق سبات

(١٦٦) السكّة الكبرى: يريد سكة حديد الحجاز. (١٦٧) الشوقيات: ج/٣، ص/١٥٧.
(١٦٨) العروة الوثقى ١٣/مارس ١٨٨٤ نقلاً عن شوقي؛ شعره الإسلامي ص/٤٥، قلت: والحديث من رواية أبي داؤد عن جبير بن مطعم ﷺ، وإسناده ضعيف (مشكاة المصابيح/٤٩٠٧). (١٦٩) انظر: شوقي: شعره الإسلامي: ص/٥٢.

بأيمانهم نوران: ذكر و سنة
فما بالهم في حالك الظلمات
فقل: ربِّ وفِّق للعظائم أمتي
و زيِّن لها الأفعال و العزمات (١٧٠)

ويدمّر الفرنسيون دمشق في الثورة السورية، فيتقطّع قلب شوقي دماً على هذه الفجيعة، وفي أبيات مؤثرة يحثّ أبناءها على الكفاح والنضال في سبيل الحياة الكريمة والحرية، مذكراً بتاريخها الطويل في الكفاح:

وبيْ مما رمتْك به الليالي
جراحات لها في القلب عمق
ألستِ - دمشقُ - للإسلام ظئرا
و مرضعة الأبوّة لا تُعقُّ (١٧١)
و كلّ حضارة في الأرض طالت
لها من سرحك العُلويّ عِرق (١٧٢)
بني سورية اطرحوا الأماني
و ألقوا عنكم الأحلام ألقوا
و للحرية الحمراء باب
بكل يد مُضرّجةٍ يُدقّ (١٧٣)

ويلوم العقاد شوقياً على هذه النزعة، فيقول: "فبيئة شوقي .. هي بيئة الترك (الحكوميين) المتمصّرين الذين ... عُنوا بالجامعة الدينية أشدّ من عنايتهم بالوطنية المصرية" (١٧٤)، وماذا عليه؟ ولو لام اللائمون، إن تمسّك بما يرضاه الإسلام.

(١٧٠) الشوقيات: ص/١٠١-١٠٢، وقلت: ليس في هذه الأبيات الاستشفاع الممنوع وإنما هو أسلوب من أساليب الشعراء والأدباء للتعبير عن الحسرة والألم والترغيب في تحسين الأوضاع والأحوال. (١٧١) الظئر: المرضعة.
(١٧٢) السرح: الشجر العظام. (١٧٣) الشوقيات: ٢/٧٤-٧٥-٧٦-٧٧.
(١٧٤) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي: ص/١٨٣.

فلسطين أرض موعودة أم أرض مغتصبة ؟!

بقلم :
الأستاذ محمد غياث الدين حافظ عبد الله
(استاذ مشارك في الجامعة الإسلامية العالمية)
شيتاغونغ - بنغلاديش

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد ...

في خضمّ الأحداث التي تجري في فلسطين ، وأمام شلال الدم الذي يسيل غزيراً من دماء أبنائها ، نقف في هذا البحث مع قضية مهمة ، تُعدّ أساساً متيناً في الصراع الذي قام وما يزال قائماً على أرض فلسطين ، وتعتبر تأصيلاً مهماً في فهم طبيعة هذا الصراع ، فحتى نفهم لماذا يتصرف اليهود بهذه الكيفية ، علينا أنْ نهاجر إلى عقولهم ، حتى نعلم كيف يفكرون ، وكيف ينظرون للآخرين .

وتثور أمامنا في إطار هذه العملية عدة تساؤلات مهمة :

لمن هذه الأرض ؟ ومن هم أصحابها الشرعيون ؟ هل حقاً هي لليهود ؟ وأن الله وعدهم بها ؟ هل هي أرض موعودة أم أرض مغتصبة ؟

هذه استفسارات جاء هذا البحث من أجل وضع إجابات واضحة لها ، من خلال دراسة أبعاد هذه القضية من جميع جوانبها ، سواء الدينية منها أم التاريخية ، لنكون على بينة من أمرنا ، و وضوح في رؤيتنا .

وقد جاءت هذه المقالة في ثلاثة مباحث ، هي :

١- أرض الميعاد في العقيدة اليهودية .

٢- نظرة تاريخية . ٣- نظرة قرآنية .

◆ **الدين والأرض :**

يربط اليهود بين الأرض وبين تعاليم التوراة التي لا يمكن أن تنفذ - حسب زعمهم - إلا في الأرض المقدسة ، وكما جاء في أحد أسفار التلمود (١) ، وفي أحد تصريحات بن غوريون (٢) ؛ فإن السكنى في الأرض بمنزلة الإيمان : "لأن من يعيش داخل أرض إسرائيل يمكن اعتباره مؤمناً ، أما المقيم خارجها ؛ فهو إنسان لا إله له" (٣) .

وجاء في التوراة : "لا يقول ساكن في الأرض أنا مرضت ، الشعب الساكن فيها مغفور الإثم" (٤) .

وعندما يتكلم اليهود عن الأرض المقدسة ، يعنون بها أرض فلسطين ، جاء في التلمود : "الواحد القدوس تبارك اسمه ، قاس جميع

---

(١) التلمود : من أهم الكتب الدينية عند اليهود ، وهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية ، أي تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة) ، انظر : المسيري : عبد الوهاب محمد : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (القاهرة/بيروت : دار الشروق ، ط/١ ، ١٩٩٩م) : ج/٥ ، ص/٧٨ .

(٢) Bin Gorion : سياسي يهودي ، من رؤساء الحركة الصهيونية ، وحركة العمل الصهيونية ، ومن المخططين لإقامة دولة إسرائيل ، وجيش الدفاع الإسرائيلي ، ورئيس حكومة ، وأول وزير دفاع حتى تخليه عن الحكم عام ١٩٦٣م ، توفي سنة ١٩٧٣م ، انظر : تلمي ، أفرايم ومناحم : معجم المصطلحات الصهيونية ، ترجمة : أحمد بركات العجرمي (عمان : دار الجليل ، ط/١ ، ١٩٨٨م) : ص/٧٧ .

(٣) المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : ج/٥ ، ص/٧٨ .

(٤) سفر أشعياء : ٢٤/٣٣ ، نقلاً عن المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

البلدان بمقياسه ، ولم يستطع العثور على أية بلاد جديرة بأن تُمنح لجماعة يسرائيل سوى أرض إسرائيل" (٥) أي أرض فلسطين .

والناظر في التوراة ، يجد نصوصاً تشير إلى أن الله منح إبراهيم وذريته هذه الأرض ، ومن ذلك :

- "وقال الرب لإبراهيم : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك ، إلى الأرض التي أريك ... فذهب إبراهيم كما قال الرب ... فأتوا إلى أرض كنعان ... وظهر الرب لإبراهيم ؛ وقال : لنسلك أعطي هذه الأرض" (٦) .

- "وسكن إبراهيم في أرض كنعان ، فقال له الرب : ارفع عينيك وانظر من الموضع التي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد" (٧).

- "قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطي هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير ، نهر الفرات" (٨) .

♦ **حدود أرض الميعاد :**

على الرغم من ورود هذه النصوص التي تتحدث عن أرض فلسطين باعتبارها أرضاً للميعاد ، إلا أن اليهود أنفسهم اختلفوا في جدود هذه الأرض ، فبينما دلّت بعض النصوص على أنها تمتدّ من

---

(٥) المرجع السابق : نفس الجزء والصفحة .

(٦) سفر التكوين : ١/١٢ ، نقلاً عن أيوب ، سمير : وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني (بيروت : دار الحداثة ١٩٨٤م) : ج/١ ، ص/٢٩ .

(٧) سفر التكوين : ١٤/١٣ ، نقلاً عن المرجع السابق : ج/١ ، ص/٣١-٣٢ .

(٨) سفر التكوين : ١٥ ، نقلاً عن المرجع السابق : ج/١ ، ص/٣٢ .

النيل إلى الفرات (٩) ، حددتها نصوص أخرى على أنها "أرض كنعان بتخومها" (١٠) ، وقد حلّ الخلخامات هذه المشكلة - في ظنهم - حين شبهوا الأرض بجلد الإبل الذي ينكمش في حالة العطش والجوع ، ويتمدد في حالة الشبع والارتواء ، وهكذا الأرض المقدسة ، تنكمش إذا هجرها ساكنوها من اليهود ، وتتمدد وتتسع إذا جاءها اليهود من بقاع الأرض (١١) .

أما الجنرال موشي دايان (١٢) فقد وسّع مفهوم أرض الميعاد ليشمل بها كل أرضٍ ورد ذكرها في التوراة ، يقول : "إذا كنا نملك التوراة ، ونعتبر أنفسنا شعب التوراة ، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي المنصوص عليها في التوراة" (١٣) .

وبلغ الاختلاف بين اليهود في تحديد أرض الميعاد ، أنْ طالب بعضهم بإقامة وطن يهودي في أية منطقة ، وفكّر كثير منهم في إقامة دولة لهم في قبرص أو مدغشقر ، لو لا أن الاستعمار هو الذي وقف معهم لإقامة دولتهم في فلسطين ، وهذا ما يؤكده الدكتور غوستاف لوبون حين يقول : "لم تكن فلسطين غير بيئة مختلفة لليهود" (١٤) .

---

(٩) انظر على سبيل المثال : سفر التكوين : ١٨/١٥ .

(١٠-١١) سفر العدد ، الإصحاح/٣٤ ، نقلاً عن المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : ج/٥ ، ص/٧٩ .

(١٢) موشي دايان : محارب وقائد عسكري ، وسياسي وأديب يهودي ، انظر : تلمي : معجم المصطلحات الصهيونية : ص/١٠٧ .

(١٣) دايان موشى : صحيفة جيروزالم بوست ، ١٠/أغسطس/آب ١٩٦٧م .

(١٤) محمد ، محمد عبد السلام : بنو إسرائيل في القرآن الكريم ، (الكويت : مكتبة الفلاح ، ط/١ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) : ص/٢٦٤ .

♦ الصهيونية وأرض الميعاد :

تنظر الصهيونية للدين على أنه تراثٌ يشكّل تاريخاً مشتركاً بين اليهود، كما ينظر الألمان إلى التراث الشعبي الألماني على أنه يشكل تاريخاً مشتركاً يجمعهم، فينطلقون منه لتحقيق أهدافٍ مشتركةٍ، فهم ينتمون إلى الدين ولا يلتزمون به، ولذلك فالدين عنصر هام من عناصر بقائهم، يحافظ عليه الجميع سواء منهم المتدينون والعلمانيون، فهو عنصر من عناصر قوميتهم، ومقوم من مقومات وجودهم، والتفلّت منه لا يعني عدم احترامه.

كما أن الدين اليهودي قد أثّر في إذكاء الشعور لدى اليهود بالتفوق، وأمرهم بالعودة إلى أرض إسرائيل، فتعاليم التلمود تقرر بأن اليهود شعب مختار "اختارهم الرب شعباً ليكون إلهاً لهم" (١٥)، وبعبارة أكثر دقة "يمكن تقسيم سكان العالم إلى قسمين : إسرائيل من جهة، والأمم الأخرى مجتمعه من جهة أخرى، فإسرائيل هي الشعب المختار، وهذه عقيدة أساسية" (١٦).

وشعورهم بالتفرد ولّد لديهم الشعور بالتفوق والشعور باعتزال المحتقرين "غير اليهود"، فحتى لو اضْطهدوا فإنهم يُقبّلون الأيادي، ويتذللون، ويكونون مملوءين شعوراً بالكبرياء والتفوق، بل إنهم يفسرون عزلة العالم لهم حين اضطهدوا بأن الشعوب تعزلهم لشعورها بتفوقهم.

كذلك فإن دينهم يأمرهم بالعودة إلى أرض الميعاد، ويعمق في نفوسهم حب أرض إسرائيل، ويعبرون عن هذا الحب بالهجرة

(١٥) سفر الخروج : ص/٦.

(١٦) كوهين : التلمود : (باريس : مايو ١٩٨٦م) : ص/١٠٤.

الفردية والجماعية إلى تلك الأرض للعيش عليها.

ويوجد من ضمن التراث الديني عندهم صلوات، هي تراتيل تُسمّى : "صلوات العودة إلى أرض الآباء والأجداد، وإعادة تأسيس الدولة اليهودية".

ومن تعاليم التلمود أنّ أي يهودي يستطيع أن يهاجر إلى أرض الميعاد، ثم يبقى في المنفى فهو كافر، وتأمرهم تعاليم التلمود بعدم رحمة الآخرين، وبالسيطرة عليهم، ومن هنا جاءت أهداف الصهيونية متوافقة مع تعاليم الدين اليهودي، ومن هنا كان احترام الصهيونية للدين ولو لم تلتزم به (١٧).

ومن هنا ظهرت لدى زعماء الصهيونية النظرة الوطنية الداعية إلى العودة لإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، ويظهر ذلك جلياً في أقوالهم وتصريحاتهم.

قال جابوتنسكي (١٨) : "من أجل فلسطين فإنني مستعد أن أتحالف مع الشيطان".

وكتب وايزمان (١٩) كتابات كثيرة عن أبناء اليهود المنجرفين

(١٧) العوضي أحمد : الصهيونية (نشأتها - تنظيماتها - أنشطتها)، (عمان : دار النفائس، ط/١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) : ص/٣٢-٣٣.

(١٨) Vladimir Jabottasky : (١٨٨٠-١٩٤٠م) مفكر صهيوني قائد حركة الصهيونيين التصحيحيين، وهو من يهود روسيا، انظر : المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : ج/٦، ص/٢٥٨.

(١٩) عالم مشهور، وأول رئيس لدولة إسرائيل، وكان أحد الزعماء الأوائل للحركة الصهيونية خلال الفترة التي تلت وفاة هرتزل، توفي سنة ١٩٥٢م، انظر: تلمي : معجم المصطلحات الصهيونية : ص/٧٠.

في اللهو والملذات على حساب التفكير في استرجاع أرض الميعاد، وكان يُكثر من توجيه اللوم إليهم مقروناً بالنصح والإرشاد، وكان يجوب القرى والمدن يحذر من نسيان اللغة العبرية، ويحث على تعليمها للأطفال، و كان يُلحّ على وجوب جعلها اللغة الرسمية لليهود جميعاً.

ومما حرك هيرتزل على العمل إلى العودة إلى أرض الميعاد أنه رأى مسرحية عام ١٩٤٨م في باريس بعنوان: "على اليهود أن يعودوا إلى أرض فلسطين".

أما بن غوريون، فكان يعتبر فلسطين هي "الفردوس المفقود" ويعتبر يهود الولايات المتحدة منفيين خارج أرضهم، وإنْ حصلوا على جميع حقوقهم، ويعتبر كلّ أرض سوى فلسطين أرض منفى.

أما الشاعر الصهيوني حاييم بيالك (٢٠) فيعتبر كل أرض سوى فلسطين أرضاً غريبةً موحشةً، وله قصيدة بعنوان: "نادوا الأفاعي"؛ ويقصد بالأفاعي الأفراد اليهود الذين يندمجون في غير اليهود، لأن من يندمج منهم في غير أبناء قومه؛ فهو متآمر على قضيته (٢١).

يتبين مما سبق أن اليهود قد استغلوا هذا الوعد الإلهي في فترة لاحقة لإضفاء الشرعية على غزوهم لفلسطين.

♦ **البعد التاريخي في الوعد الإلهي:**

يرى روجيه جارودي بأن الوعد الإلهي بأرض الميعاد ذو أبعاد

---

(٢٠) Hayyim Bialik: أهم شاعر روسي يهودي كتب بالعبرية في العصر الحديث، انظر: المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ج/٣، ص/٣١٢.

(٢١) العوضي: الصهيونية (نشأتها - تنظيماتها - أنشطتها): ص/٣٣-٣٥.

تاريخية، وليس وعداً دينياً خالصاً كما يزعم اليهود، ذلك أنّ الوعد الوارد في سفر التكوين (١٥/١٨-٢١)، والذي يشير إلى سيادة شعب مختار على جميع المناطق الواقعة من نهر مصر إلى نهر الفرات، وعلى جميع الشعوب التي تسكنها، لم يكن سوى نبوءة مستوحاة من غزوات داود، كما برهنت أبحاث المفسرين على أن توسيع نطاق الوعد "البدوي" ليصبح وعداً قومياً لابد وأن يكون قد حدث قبل تدوين روايات الآباء الأوائل للمرة الأولى (٢٢).

فقد عاش صاحب المصدر اليهوي (٢٣) والذي ربما كان أول راوٍ أو بالأحرى أول كاتب لروايات العهد القديم، في عصر سليمان، ومن ثم فقد عاصر تلك العقود التي كان فيها العهد الأبوي، الذي أعيد تفسيره بوحي من غزوات داود، قد تحقق بشكل يفوق كل التوقعات والأماني.

وتُعد الفقرة الواردة في سفر التكوين (١٢/٣ب) من النصوص الأساسية التي تتيح فهم أعمال صاحب المصدر اليهوي، إذ تشير هذه الفقرة إلى أنّ البركة التي تحلّ بالإسرائيليين تقترن بمباركة جميع قبائل الأرض، والمقصود بهذه العبارة جميع الشعوب التي كانت تتقاسم مع الإسرائيليين أراضي فلسطين والضفة الغربية (٢٤).

---

(٢٢) جارودي، روجيه: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة: محمد هشام (القاهرة/عمان: دار الشروق، ط/٢، ١٤١٩هـ/١٩٨٩م): ص/٤٧.

(٢٣) يتفق معظم شراح العهد القديم على أن النص المتداول حالياً يرجع إلى أربعة مصادر: أولها مصدر يحمل اسم "يهْوَهْ" ويعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وهو ما يُشار إليه هنا باسم المصدر اليهوي.

(٢٤) جارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية: ص/٤٧.

ويقول جارودي : "وهكذا ، فليس بمقدورنا أن نحدد على وجه الدقة في أيّة لحظة تاريخية ظهرَ الربّ لشخصية إبراهيم التوراتية ، لمنحه الحق الشرعي في الاستيلاء على بلاد كنعان ، أما من وجهة النظر القانونية ، فليس بين أيدينا صك بهذه الهبة يحمل توقيع "الله" بل إن لدينا حججاً قويةً تدعونا للاعتقاد بأن المشهد الوارد في سفر التكوين لا يعكس حادثة تاريخية حقيقية" (٢٥) .

فهل من الممكن إذاً إضفاء طابع آني معاصر على الوعد الأبوي ؟ ليس هذا ممكناً بالتأكيد ، إذا كان إضفاء هذا الطابع يعني استخدام الوعد كصك للملكية أو استخدامه لتسويغ أي ادعاءات سياسية ، "فليس لأيّ نهج سياسي الحق في أن يدعي لنفسه أنه جدير بضمان هذا الوعد ، ولا يمكن للمرء ، بأي حال من الأحوال ، أن ينضم إلى أولئك المسيحيين الذين يرون أن وعودا لعهد القديم تضفي الشرعية على ما تدعيه دولة إسرائيل في الوقت الراهن من حق في الأرض" (٢٦) بل يمكن للمرء أن يتساءل : لماذا لم يفهم اليهود وأحبارهم هذا الوعد طوال ما يقرب من عشرين قرناً قضوها طواعية واختياراً بعيداً عن فلسطين .

ويشير روجيه جارودي إلى قضية مهمة ، وهي أن هذا الوعد الذي يتبجح به اليهود ، ذو طابع تاريخي أكثر منه ذو طابع ديني ، فقد وُجد عند اليهود في تلك الفترة من الزمن كما وُجد عند غيرهم (٢٧)،

---

(٢٥) الرجع السابق : ص/٤٨ .

(٢٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢٧) المرجع السابق : ص/٤٥ .

فقد وُجه هذا الوعد في بادئ الأمر إلى جماعات من البدو الرحّل الذين يتطلعون إلى الاستقرار في أيّ من المناطق الآهلة الصالحة للسكنى ، ومن ثم أصبح هذا لوعد جزءاً من التراث الديني والقصصي لدى قبائل شتّى متباينة .

حيث تُبين لنا قراءة النصوص المقدسة في منطقة الشرق الأوسط أن جميع شعوب المنطقة ، من بلاد النهرين إلى مصر بما في ذلك الحيثيون ، قد تلقوا وعوداً مماثلةً ، حيث كان الإله يعد كل شعب بالأرض .

ففي مصر ، تجد المسلّة الضخمة في الكرنك ، والتي شُيدت في عهد تحوتمس الثالث بين عامي ١٤٨٠و١٤٧٥ ق.ب ، تمجيداً لانتصاراته في غزة ومجيد وقادش وقردميش ، وقد دُونت عليها عبارة الإله : "أمنحك هذه الأرض بامتدادها في جميع الجهات لتكون لك شرعاً ، لقد جئتُ لأزوّدك بكل السُبُل لكي تجتاح الأراضي الغربية" (٢٨) .

وعلى الجانب الآخر في منطقة الهلال الخصيب في بلاد ما بين النهرين ، نجد في أنشودة الخلق البابلية ، أن الإله مردوخ يحدد لكلّ نصيبه ، ويأمر ببناء بابل وتشييد معبد فيها .

ومن مصر إلى بلاد ما بين النهرين ، كان الحيثيون ينشدون لربة الشمس أرينا ، قائلين : "أنت تحرسين أمن السماوات والأرض ، وتعينين حدود الأرض" .

---

(28) Rily-smith, Jonathan Simon Christopher : The Feudal Nobility and The Kingdom of Jerusalem, (London, Macmillan, 1973, p.311).

هكذا كان الوضع آنذاك، فلو لم يكن اليهود قد تلقوا وعداً كتلك الوعود، لأصبحوا دون شك حالة شاذة (٢٩).

♦ تفنيد حجج اليهود الدينية:

إذا نظرنا في النصوص الدينية، التي يستدل بها اليهود على أن الله أعطاهم الأرض المقدسة لهم وحدهم، نجد أنها لم تذكر ذلك، بل كل ما جاء فيها يدل على أنّ الله أعطاها لإبراهيم ونسله.

فإذا كان الاعتقاد السائد لدى اليهود أنّ الأرض أعطيت لهم وحدهم، فهذا افتراء وخطأ، لأن هذا ليس هو الذي يقوله كتابهم المقدس، إذا كنا سنعتمد عليه كدليل لدحض افتراءاتهم ودحض أكاذيبهم، ويمكن إجمال ردّنا في النقاط الآتية:

١- إذا كان هناك عهد فقد أعطي لإبراهيم عليه السلام ولنسله، وليس بنو إسرائيل وحدهم هم نسل إبراهيم، فالعرب ومنهم محمد ﷺ من نسله كذلك، لأنهم أبناء إسماعيل، ولا يستطيع اليهود أن ينكروا أن إسماعيل من نسل إبراهيم، فقد ورد في توراتهم: "ابن الجارية أيضاً سأجعله أمة، لأنه من نسلك" (٣٠).

٢- إذا كانت المسألة مرتبطة بالنسل والتناسل، فالدلائل تشير إلى أن الأغلبية الساحقة لليهود في عصرنا، ليست من نسل إبراهيم عليه السلام، ذلك أنّ معظمهم من يهود الخزر، الذين دخلوا الدين اليهودي في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (٣١).

---

(٢٩) لابي، رينيه: أديان الشرق الأوسط (باريس: فايارد ١٩٧٠م): ص/٦٠.

(٣٠) سفر التكوين: ٩/٢١.

(٣١) صالح، محمد محسن: الطريق إلى القدس (لندن: ط/١، ١٩٩٥م، منشورات فلسطين المسلمة): ص/١٥.

٣- إبراهيم عليه السلام ليس عبرياً، وإنما هو وزوجاته من الجنس العربي، سواءً أكان كلدانياً أم أمورياً أم آرامياً، على الخلاف الموجود، لأن هذه الشعوب الثلاثة كما يقرر الباحثون، وبدون أدنى خلاف أو جدال، شعوب عربية، خرجت من جزيرة العرب لسبب أو لآخر، ضمن حركة الشعوب القديمة في هجرتها وتنقلاتها (٣٢).

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد:

"ربما كان من المفاجئات عند بعض الناس أن يُقال لهم: إن إبراهيم عليه السلام كان عربياً، وأنه يتكلم اللغة العربية، ولكنها الحقيقة التاريخية التي لا تحتاج إلى فرض غريب، أو تفسير نادر، غير ترجمة الواقع بما يعنيه، وإنما الفرض الغريب، أن يحيد المؤرخ عن هذه الحقيقة، لينسب إبراهيم إلى قوم غير قومه الذين هو منهم في الصميم" (٣٣).

٤- إنّ القرآن الكريم يوضح مسألة إمامة سيدنا إبراهيم وذريته في شكل لا لبس فيه، قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ * فَأَتَمَّهُنَّ * قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً * قَالَ: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي * قَالَ: لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٤)، فعندما سأل إبراهيم الله أن تكون الإمامة في ذريته، بين الله له أنّ عهده لذريته بالإمامة لا يستحقه ولا يناله الظالمون، وأيّ ظلم وكفر وصدّ عن سبيل الله

---

(٣٢) حسونة، خليل إبراهيم: العصرية الصهيونية وكيفية مواجهتها (ليبيا: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع ١٩٨١م): ص/٨٠.

(٣٣) العفنان، سعد خلف: حقيقة اليهود (١٩٨٩م، بدون بلد ودار نشر): ص/٣١.

(٣٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

وإفسادٍ في الأرض أكبر مما فعله ويفعله اليهود (٣٥) .

وهناك من اليهود أنفسهم من دحض حجج اليهود القائلة بأن دولة إسرائيل هي تكريس لوعد الله بالعودة إلى الأرض المقدسة ، وهذا ما يؤكده إلمر برجر (٣٦) حين يقول : "لا يمكن لأيّ إنسان أن يقبل الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل الحالية كان تحقيقاً للنبوءة ، وبأنّ الله قد صدّق سلفاً وبشكل تلقائي على كل الأعمال التي قام بها الإسرائيليون لإنشاء دولتهم والحفاظ على استمرارها ، فقد حطمت دولة إسرائيل السياسة الحالية ، أو على الأقل شوهت المغزى الروحي لإسرائيل ... ومن ثم ليس لدولة إسرائيل الحالية أي حق في أن تدّعي لنفسها أنها تجسيد لإرادة الله آلتي تقضي بقدوم عصر الماشيح ، إنها لا تعدو أن تكون تجسيداً لغوغائية التربة والدم ، فلا الأرض مقدسة ولا الشعب ، وكلاهما ليس جديراً بأي ميزة روحانية في هذا العالم ، إنّ النزعة الشمولية الصهيونية بسعيها إلى إخضاع الشعب اليهودي بأسره ، حتى ولو كان ذلك بالعنف والقوة ، تجعل منه شعباً بين الشعوب الأخرى ومثلها" (٣٧) .

(للبحث صلة)

---

(٣٥) صالح : الطريق إلى القدس : ص/١٥-١٦ .

(٣٦) حاخام يهودي : وهو الرئيس السابق للمجلس الأمريكي لليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية .

(٣٧) برجر ، إلمر : النبوءة والصهيونية ودولة إسرائيل (الناشر : منظمة بدائل أمريكية يهودية للصهيونية ، محاضرة ألقيت في جامعة ليدن بهولندا في ٢٠/مارس/آذار ١٩٦٨م) .

جغرافية الأجرام السماوية

وبعض ما فيها من أسرار الربوبية

(٢/الأخيرة)

بقلم :
فضيلة العلامة الشيخ
محمد شهاب الدين الندوي
(المؤسس للأكاديمية الفرقانية - بنغلور الهند)
تعريب : أنيس الرحمن الندوي - عضو الأكاديمية

◆ مظاهر الربوبية :

قال الله تبارك وتعالى في موضع آخر :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ * وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِيْنَ * وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ * فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ * وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُوْنَ * فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيْلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ * فِيْهَا فَوَاكِهُ كَثِيْرَةٌ * وَمِنْهَا تَأْكُلُوْنَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُوْرِ سَيْنَاءَ * تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ * وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِيْنَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيْكُمْ مِّمَّا فِيْ بُطُوْنِهَا * وَلَكُمْ فِيْهَا مَنَافِعُ كَثِيْرَةٌ * وَمِنْهَا تَأْكُلُوْنَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُوْنَ ﴾ (المؤمنون/١٧-٢٢) .

إن هذا مشهد من مشاهد الربوبية ورعاية الله سبحانه وتعالى لخلقه ، وإنه لأسلوب حكيم وبليغ يزيح الستار عن أسرار الكون ورموزه في إيعاز وتعريض ، ولذلك لم يذكر وسائل معيشة الأرض بهذا التفصيل إلا كمثال بعد أن أجمل في ذكر السماوات السبع ، وخلفية الكلام تشير إلى وجود "النظام الرباني" نفسه أو مثله في الأجرام السماوية الأخرى حيثما وجدت الدواب ، وإن كلمة : "وما كنا عن الخلق غافلين" لتقتضي ذلك .

وليكن ملحوظاً هنا أن ذكر أسرار الكون وخفايا الربوبية جاء في القرآن الكريم في صورة التعريض والإشارة على وجه العموم ،

حتى لا تشتبك هذه الحقائق العلمية الدقيقة ويختلط أمرها على أمم متخلفة لم تعهد مبادءها قبل أربعة عشر قرناً، ويتم كشف القناع عن هذه الحقائق على أوانه بعد التفكير والبحث.

♦ **الشمس والظل في الأجرام السماوية:**

إن الآية التالية تزيح الستار عن سر ملكوتي وهو أن الأجرام السماوية المتنوعة المتمتعة بالمظاهر الحياتية يوجد فيها نظام الشمس والظل، أو أن كل كون يحتوي على شمس.

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * طَوْعاً وَكَرْهاً * وَظِلاَلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ (الرعد/١٥).

إن كلمة "ظلال" في هذه الآية تدل على وجود الشمس والظل في الأجرام السماوية، لأن الظلال لا يمكن وجودها إلا بالشمس، ويؤيد ذلك النظرية المذكورة في الصفحات السابقة من أنه لابد من وجود "أرض" في كل من النظم الشمسية والتي تكون معتدلة من حيث الحرارة والبرودة وملائمة للحياة، مثل أرضنا التي هي ليست بذات حرارة شديدة مثل عطارد وزهرة، أو ذات برودة شديدة مثل المريخ والمشتري أو نبتون وبلوتو (٣).

♦ **مخلوق متطور:**

لم يصل العلماء بعد إلى قول فصل عن وجود الحياة في الأجرام السماوية، بل تعبر آراؤهم عن تناقضات، لأن الإنسان لما أن علمه يتوقف علمه على الرؤية والمشاهدة فكيف يقدر على الحكم الحتمي

(٣) ولكن لا يعز على القدرة الإلهية أن توجد هناك مخلوقات غريبة في الأجرام السماوية ذات حرارة شديدة أو ذات برودة شديدة تقدر على تحمل شدة مناخها.

في شئ وهو بعيد عنه ببلايين البلايين كلومتر، فحكمه في مثل ذلك لا يكون إلا كالرمي في الظلام، فوجب أن يكون الحاكم فيه محيطاً بعلمه كل الأكوان والأزمان، إن القرآن الكريم قد أعلن قبل أربعة عشر قرناً بوجود كل نوع من الحيوانات في الأجرام السماوية قطعاً ليس مثل أرضنا فحسب بل هناك مخلوق أرقى وأكبر عقلاً وشعوراً، كما يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ * وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ * إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى/٢٩).

فإن كلمة: "هم" في "جمعهم" في آية الشورى هي اسم ضمير (Pronoun) يستعمل لذوي العقول، فأفاد ذلك بأن "الدابة" (كل من الأحياء" الموجودة في الأجرام السماوية تشتمل على ذوي العقول والشعور وغيرها كما هو في الأرض، وعبر عن هؤلاء في سورة/ص بالأحزاب، لأن "القرآن يفسر بعضه البعض".

وعلى كل، فإن كلمة: "الأحزاب" أيضاً تدل على التنظيم والجماعية، فإنها تكشف عن وجود مدنية متطورة راقية في الأجرام السماوية، كما تكشف عن رجود القوات العسكرية عليها، وقيل: إن الإنسان حينما يلتقي هذا المخلوق المتطور سينهزم منه، كما قد تقرر من هذا أن التمدن على الأجرام هي أرقى من تمدن أرضنا، مما يؤدي ببني آدم إلى تشويه وجوههم يوماً ما، والرحلات الفضائية بدأت تحول هذه القصة العجيبة إلى حقيقة مشاهدة.

♦ **تصريحات المفسرين:**

ومما يجدر بالذكر أن جماعة لا بأس بها من المفسرين قد قالت بوجود أنواع من الدواب في الأجرام السماوية في تفسير آية الشورى المذكورة، رغم أن ذلك العصر يفقد التصور العلمي أو أي إمكانيته،

فقد اعترف الزمخشري وابن كثير وأبو حيان والإمام الرازي والعلامة آلوسي البغدادي وغيرهم من المفسرين في تفاسيرهم بصراحة بوجود أنواع من المخلوقات في الأجرام السماوية، نذكر هنا أقوال بعضهم، يقول الإمام الرازي (م/٦٠٦م):

"لا يبعد أن يقال: إنه تعالى خلق في السماوات أنواعاً من الحيوانات يمشون مشي الأناسي على الأرض" (التفسير الكبير).

وقد صرح ابن كثير (م/٧٧٤هـ):

"وهذا يشمل الملائكة والإنس والجنّ وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم وقد فرقهم في أقطار السماوات والأرض" (تفسير ابن كثير).

وقد قال العلامة شهاب الدين آلوسي البغدادي (م/١٢٩١هـ):

"لا يبعد أن يكون في كل سماء حيوانات ومخلوقات على قدر شتى وأحوال مختلفة لا نعلمها" (تفسير روح المعاني).

♦ **نظام الشريعة في الأجرام السماوية:**

وكل ذلك يدل على أن هناك ذواتاً تتصف بالعقل والشعور في الأجرام السماوية، وأن الآية التالية تفصح بنفوذ شريعة الله فيها كعادتها في الأرض:

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * طَوْعاً وَكَرْهاً (٤) وَظِلاَلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ (الرعد/١٥).

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً للهِ * وَهُمْ دَاخِرُوْنَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي

(٤) إن كلمة: "طوعاً" تدل على الشريعة. وكلمة: "كرهاً" تدل على التكوين.

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلاَئِكَةُ * وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُوْنَ ﴾ (النحل/٤٨-٤٩).

إن هذه الآيات تحتوي على الأحكام التكوينية والتشريعية كلتيهما، يعني إن مظاهر الكون في كلا العالمين قائمة بعبادة الله سبحانه وتعالى تكوينياً (Natural) وتشريعياً (Moral)، كذلك ولاستعمال كلمتي: "الدابة" و "الملائكة" بوجه خاص له معنى، وقد تحقق لدي في بحثي أن المقام الأصلي للملائكة هو السماوت (ذلك العالم اللاهوتي الذي هو فوق السماء الدنيا أو السقف المحفوظ) (٥) و "الدابة" توجد في الأرض والسماوات (الأجرام السماوية الناسوتية التي توجد في داخل السقف المحفوظ) معاً، فمن هذه الوجهة إن سائر الأجرام السماوية التي توجد فيها "الدابة" الراقية والمتحضرة قد تكون الشريعة هناك جارية، إن الآية التالية تشرح هذا المفهوم بوضوح: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ * كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيْحَهُ ﴾ (النور/٤١).

فعصارة القول: إن كلمتي: "الدابة" و "الملائكة" جنسان (Genera) مختلفان، ولا توجد أي مماثلة طبيعية بينهما، أو بعبارة أخرى إن "الدابة" مخلوق يمشي ويتحرك على الأرض ومخلوق ناسوتي من أصله، بينما "الملائكة" مخلوق لاهوتي ذو أجنحة، إن طبيعة أحدهما هي الطين والنار، بينما طبيعة الآخر النور، وعلى كل فإن هذا يؤيد البحث السابق في وجود مخلوق متحضر ذي عقل وشعور حتماً في السماوات (العالم الناسوتي) سمي بـ "الدابة"، لأن نفوذ الأحكام

(٥) راجع لتفصيل "السقف المحفوظ" إلى كتابي: "تسخير القمر في ضوء القرآن الكريم".

الشرعية بغير وجود العقل والشعور أمر عبث وباطل، أو بعبارة أخرى إن الشرع والعقل متلازمان، وتعالى الله الحق أن يخلق شيئاً عبثاً، إن الآيات التالية تشير إلى هذا القانون الإلهي:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً * وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُوْنَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ * لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيْمِ ﴾ (المؤمنون/١١٥-١١٦).

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ * وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِيْنَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاَتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا * إِنْ كُنَّا فَاعِلِيْنَ ﴾ (الأنبياء/١٦-١٨).

﴿ وَ للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ * وَ مَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ * وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر ﴾ (المائدة/١٧).

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ * وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ * وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ * فَاصْفَحُ الصَّفْحَ الْجَمِيْل * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيْمُ ﴾ (الحجر/٨٥-٨٦).

إن هذه النصوص القرآنية فصيحة وعميقة المعنى وبعيدة المدى، و واضحة في معانيها وأغراضها، خالية عن كل تعقيد، ومن آيات هذا الكتاب العزيز الباهرة أنه يرينا عالماً جديداً أو بحراً محيطاً في كل جانب من المعاني والموضوعات.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ﴾ (الزخرف/٣).

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِيْ هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ * لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ * قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِيْ عِوَجٍ * لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ ﴾ (الزمر/٢٧-٢٨).

﴿ ذَلِكَ نَتْلُوْهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيْمِ ﴾ (آل عمران/٥٨).

♦ أين المخلوق السماوي:

إن "السماوات" صيغة جمع، تطلق على العدد من الثلاثة إلى

ما لا ينتهي، ويفيد ذلك بإمكانية وجود المخلوق السماوي الذي نحن بصدده في ما لا يحصى من الأجرام السماوية، لا يمكن أن نقطع بأن هذا المخلوق يوجد في جرم من أجرام نظامنا الشمسي أيضاً، فهناك ثلاثة احتمالات:

١- يمكن أن توجد الآثار والمظاهر الابتدائية للحياة على الزهرة والمريخ.

٢- ويمكن أيضاً أن يوجد هناك مخلوق متطور قادر على تحمل المناخ الشديد من البرودة والحرارة الموجودة فيهما.

٣- ويمكن أيضاً أن تفقد الحياة تماماً فيهما.

والتصريح في مثل ذلك هو أمر غير ضروري من وجهة النظر القرآنية لما في إيمائه مصلحة عظيمة، كما أن القرآن الكريم ليس بكتاب فلكي يذكر فيه سائر التفصيلات، بل يكفي لعبرة الإنسان وبصيرته أن يعلم بوجود مخلوق راق ومتطور في الأجرام السماوية، ولا مجال لتحديد وجوده في نظام خاص متعين من النظم الشمسية، أيوجد في نظامنا الشمسي أو في "الشعراء اليمانية" أو في "كلب جوزا" (Sirus)، أو في "ألف قنطورس" أو في "والي سنكناني"؟ (٦)، وحيثما يكن إلا أن وجوده أمر حتمي، ولا يستبد أن يشافهه الإنسان في يوم من الأيام المقبلة.

وليكن ملحوظاً كذلك أنه كلما جاء ذكر "الأرض والسماوات" في القرآن الكريم، قدم ذكر السماوات على الأرض، ولعل الغرض منه الإشارة إلى أن الأجرام السماوية قد خلقت قبل الأرض، فالحضارة والمدنية فيها أقدم وأرقى من حضارة الأرض

(٦) هذه كلها أجرام قريبة من أرضنا وموجودة في مجرتنا.

ومدنيتها كذلك .

♦ **هل الجن المخلوق السماوي ؟**

إن القرآن الكريم هو كتاب مدهش يحتوي على نظريات ثورية ، يوجد فيه تفصيل كل شئ ، فيعلن بكل صراحة (دون أي تعقيد) أن المخلوق (الدابة) الموجود في الأجرام السماوية الأخرى هو "الجن" ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ * إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوْا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * فَانْفُذُوْا لاَ تَنْفُذُوْنَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ (الرحمن/٣٣) .

إن الخطاب في هذه الآية وارد للجن والإنس ، وقد قدم ذكر "الجن" على "الإنس" في الترتيب ، وأردفه "السماوات" و "الأرض" بتقديم ذكر السماوات على الأرض ، فأفاد ذلك أن الجن عمروا في السماوات والإنس في الأرض ، ويسمى هذا الترتيب في مصطلح علم البديع بـ "اللف والنشر المرتب" .

لو لم نرد هذا المعنى لكان ذكر السماوات هنا عبثاً وخالياً عن المعنى ، لأنه لو كان الإنس والجن يقطنان في نفس الأرض لكان حكم النفوذ من أقطار السماوات خالياً عن المعنى ، ويكون هذا الحكم ضحيحاً إذا وجدت الحياة والعمران في السماوات ، وهذا دليل واضح أن القرآن الكريم كتاب يفيض بالحكمة والبيان ، ولا يعزين عن البال أن المراد بالسماوات هنا هي الأجرام السماوية المختلفة .

إن الخطاب للجن بالإضافة إلى الإنس في آية سورة الرحمن هو في الحقيقة إعلان بأن الجن لهم علاقة وثيقة بـ "العصر الفضائي" الحديث ، ولا شك أن هذا الخطاب لا يكون خالياً عن غرض عظيم وحكمة بالغة ، ولا يسعنا التفصيل في هذا المقام .

وعلى كل ، إذا ثبت أن المخلوق الموجود في الأجرام السماوية المختلفة هو الجن ، فإن عدة نصوص قرآنية تلقي الضوء على هذا الموضوع ، ويقدم إلينا مزيداً من التفصيلات حول هذا المخلوق الغريب الفذ .

♦ **ألفاظ ثلاثة :**

قد استعمل القرآن الكريم ثلاث كلمات للجن ، والتي هي مشتقة من أصل واحد :

١- الجانّ : استعملت هذه الكلمة سبع مرات .

٢- الجنّ : استعملت هذه الكلمة اثنتين وعشرين مرة .

٣- الجنّة : واستعملت هذه الكلمة خمس مرات في معنى الجن ، ولا نقصد هنا استقصاء سائر هذه الآيات ، فإن هذا الموضوع يطلب كتاباً مستقلاً ، نكتفي هنا على تقديم بعض الآيات التي وردت فيها هذه الكلمات لمعان مختلفة .

♦ **مجتمع الجن :**

إن الحقيقة الأولى المستفادة من بعضها أنه يوجد للجن مجتمع منسق كما يوجد بين الإنس ، كما تدل عليه آية : "يا معشر الجن والإنس" من سورة الرحمن ، إن كلمة : "معشر" التي استعملت في معنى المجتمع ، وتتأيد به المباحث السابقة أيضاً ، والتي كانت مبهمة فصلتها هذه الآية .

♦ **الجنّ مكلّفون :**

الحقيقة الثانية أن المخلوق السماوي مكلف مثل الإنس ، ويفصح عنها عدد من الآيات مثل قوله عز شأنه :

﴿ وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

أجْمَعِيْنَ ﴾ (هود/١١٩) .

♦ **الأنبياء في المخلوق السماوي :**

الحقيقة الثالثة أن النبوة والرسالة قائمتان في الأجرام السماوية أيضاً كما كانت كل منها في الأرض ، فقد بعث الأنبياء فيها أيضاً للتمييز بين الحسنات والسيئات وبين الحق والباطل .

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ * أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ * يَقُصُّوْنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِيْ * وَيُنْذِرُوْنَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ (الأنعام/١٣٠) .

♦ **مظاهرة العقل والشعور :**

كذلك يبين القرآن الكريم أن المخلوق السماوي قد احتدم بينه مجال المناقشة والجدل ، ولا يمكن هذا إلا بالعقل والشعور :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيْراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ * لَهُمْ قُلُوْبٌ لاَّ يَفْقَهُوْنَ بِهَا * وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُوْنَ بِهَا * وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُوْنَ بِهَا * أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ * بَلْ هُمْ أَضَلُّ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُوْنَ ﴾ (الأعراف/١٧٩) .

يتضح من هذه الآية أن المعرفة بالله عن طريق النظر والتفكير في آيات الله تعالى (الحقائق الأساسية للكون) هي أيضاً مستمرة في طبقة الجن كما هي مستمرة في طبقة الإنس .

♦ **الكلمة الأخيرة :**

روى البيهقي في كتاب "الأسماء والصفات" عن ابن عباس أنه قال : "سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى" (انظر تفسير ابن كثير : ٤/٣٨٥) .

إن هذا الحديث دليل واضح على وجود نظام الشريعة في الأجرام السماوية الأخرى كما هو يوجد في أرضنا ، ولعل عدم ذكر

محمد ﷺ في الرواية المذكورة للإشارة إلى أن خاتم النبيين تشمل نبوته الأجرام السماوية كلها ، فقد احتشد الأنبياء كلهم في مناسبة معراج النبي الحبيب ﷺ للإعلان بختم النبوة به ، ولعل هذا الغرض هو الذي اقتضى إبلاغ القرآن الكريم إلى الأجرام السماوية (سلسلة الأرضين السبع) .

قد روى ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وغيرهم هذه الرواية باختلاف بعض الألفاظ ، وقد أقر الإمام الذهبي بصحة سند الحديث ، بينما قال بعض العلماء بشذوذه و وضعه ، والسبب الرئيسي في ذلك هو أن مثل هذه التصورات في الزمن القديم كانت بعيدة لا يستسيغها العقل ، لذلك كان ابن عباس نفسه يقول في قوله تعالى : ﴿ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ * وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ "لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم" (انظر تفسير ابن كثير : ج/٤ ، ص/٣٨٥) .

وهذا يفيد أن ابن عباس كان يعلم كثيراً في هذا الخصوص ، ولا سبيل له إلى العلم به إلا أن يسمع من رسول الله ﷺ ، ولكنه أدرك أن السكوت أفضل خوفاً من تكذيب الناس بغير علم ! ولكن هذه الحقائق اليوم قد برهنت عليها الاكتشافات والبحوث الجديدة ، وإن الإشارات والكنايات الواردة في القرآن وكثيراً من مبهماته تتجلى وتظهر عياناً بظهور التحقيقات الجديدة واتساع مجالها ، وبذلك يتبيّن إعجاز القرآن وعبقريته الكاملة المدهشة ، ويتوقع في المستقبل العاجل إزاحة الستار عن مزيد من الحقائق والمعارف في هذا المجال .

﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ * وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُوْنَ ﴾

***

صور و أوضاع :

هل يعود العالم إلى القرون الوسطى

بقلم : الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي

تعتبر القرون الوسطى عهد التخلف والاستبداد، والعصبيات الدينية، والعنصرية، والجهالة، والفقر، والحرمان، حيث كان الحكام يتمتعون بسائر الحريات ويملكون سائر السلطات للتصرف مع رعاياهم، وكان كل من يملك قوة يستضعف الضعيف، ويستغله لمصالحه، ويفرض عليه سيادته، ويخضعه لكبريائه وغطرسته، فانتشرت في تلك القرون الحروب، وعم قتل النفوس بتهم ملفقة بدون تحقيق، أو إتاحة فرصة للدفاع عن النفس، وقد عاشت أوربا خاصة في هذا العهد الطويل الذي يمتد إلى قرون عديدة، تحت سيطرة المستبدين من الحكام والمتطرفين من رجال الدين المستبدين، وتجرعت مرارة الحروب الطاحنة، فعرفت القرون الوسطى بذلك بعهد الشقاء، والاستبداد والحرمان، والظلم، والقهر، وقمع الحريات المدنية.

كانت هذه الحروب باسم الدين، وباسم العنصر، وباسم السيادة، فلما دخلت أوربا في عهد التقدم العلمي وتغلبت على مشاكلها الداخلية، تطورت هذه الطبيعة إلى طبيعة استعمار الأمم الضعيفة، ففرضت على العالم المتخلف سيادتها باسم الوصاية، والانتداب، والحماية، واتخذت وسائل قمع الشعوب التي خضعت لاستعمارها، وقامت بتشويه تاريخها، وثقافتها، ومعتقداتها، ومقدساتها، وقدم حملة العلم فيها تاريخاً جديداً يستهين بالشعوب المقهورة، ويطمس معالمها، ومفاخرها.

ثم تحررت الشعوب المستضعفة المستعمرة بعد نضال طويل بعد أن أنهكت الحربان العالميتان الدول الاستعمارية، فنالت هذه الشعوب استقلالها، وقامت فيها حكومات وطنية، وجاء بعد ذلك عهد الأحلاف، وأنشأت الدول الضعيفة التي نالت الحرية، كتلة لها، لتتخذ موقفاً موحداً إزاء الأخطار والتحديات من الدول الكبرى، وأبرمت معاهدات تضمن سيادة هذه الشعوب التي تحررت ونالت عضوية الأمم المتحدة.

كانت هذه المعاهدات والمواثيق تضمن الاحتفاظ بسلامة الدول المتحررة التي نالت عضوية الأمم المتحدة، وعدم تدخل أي بلد، مهما كان قوياً، في الشعوب الداخلية لأي بلد، وتم التوقيع على مواثيق للحقوق الإنسانية، التي كانت تضمن حرية الملكية، وحرية العقيدة، وعدم التمييز على أساس اللون والجنس والعنصر والعقيدة الدينية، وتوصلت الدول الموقعة على الميثاق إلى تفاهم للتعايش السلمي، وحل المشاكل بدون اللجوء إلى قوة السلاح، وبذلت جهود لإقرار السلام العالمي، وكان فيها ضمان حرية الفرد المتهم، للدفاع عن النفس، وعدم حجز أي إنسان بدون محاكمة، لمدة طويلة.

ولتأمين هذه الحقوق نشطت وكالات ومنظمات وجمعيات بأسماء مختلفة كجمعية حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية، وللاحتفاظ بالتراث والثقافة والعلم منظمة اليونيسف، ولحماية الأطفال. والنساء جمعيات، حتى للرفق بالحيوانات، والطيور جمعيات، وبلغ هذا الحرص على وقاية كل من له كبد حرى، حدّ وقاية الحيوانات المفترسة الضارية، وفرض الحظر على صيد، وقتل هذه الحيوانات والبهائم، وعوقب بعض الناس على معاملة الكلاب والقط بالقسوة، كما حرم في بعض المناطق إجراء تجارب طبيّة على الحيوانات، كان ذلك من مكاسب الحضارة الأوربية، وكان رواد الحضارة المعاصرة

يفاخرون بهذه المنجزات ، فلم تنل عناية هذه الحضارة المدن المعاصرة فحسب ، بل نالت عنايتها الغابات ، والصحارى ، والبحار .

كان تركيز هذه الحضارة الأوربية على الحرية والرفق ، والرفاهية ، وتوسع تصور الحرية إلى حد يشمل كل مجال من مجالات الحياة ، ونعت هذه الحضارة على كل عمل يؤدي إلى تجديد هذه الحرية ، حتى العقائد ، والمسلمات والأفكار والنظريات الثابتة لم تستثن من هذه الحرية ، فإذا اعتدى أحد على شخصية ، أو عقيدة ، أو فكر ، فاحتج عليه من يتمسك بهذه العقيدة ، أو يقدس تلك الشخصية أو يتبع ذلك الفكر ، كان يعتبر احتجاجه خرقاً لحرية الرأي والتعبير ، فاعتبرت الحضارة الأوربية حرية الرأي و حرية التعبير ، و حرية العقيدة ، ومنهج الحياة حقاً إنسانياً مشروعاً ، وكان منع أي إنسان منهم عن حق الدفاع عن النفس خرقاً لحقوق الإنسان ، كذلك اعتقاله لمدة طويلة بدون محاكمة خرقاً لحقوق الإنسان .

لقد خرج العالم من عهد القرون الوسطى التي كانت عهد القمع والاستبداد ، والعصبيات ، والتمييز العنصري ، والرق والعبودية ، والفقر والحرمان ، إلى عهد الحرية ، واحترام الإنسان وصيانة حياته وممتلكاته ، والاحترام بالسلامة الإقليمية للكيانات السياسية ، وعدم التدخل في الشئون الداخلية ، والنظم لوقاية هذه الحريات ، والسيادات الإقليمية ؛ فقامت دول صغيرة ، ونالت حماية دول كبرى للاحتفاظ بسلامتها الإقليمية إلى أن وصل عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة التي لها أعلام خاصة وجيوش مستقلة ، وحدود فاصلة ، ونظم خاصة وأديان ، أو فلسفات اجتماعية خاصة إلى ١٩٤ دولة في الوقت الحاضر .

وكان للأمم المتحدة الدور الرئيسي في الاحتفاظ بسلامة هذه الدول وذاتيتها ، فإذا حدث نزاع أو صراع أو نشأ تهديد لسلامة أي

بلد ، أو لثقافته ، بتصرف طامع أو طامح من الزعماء تدخلت هذه المنظمة بوكالاتها المختلفة ، لمنع المعتدى من الاعتداء ، وقامت بترميم وإصلاح ما أفسدته الأيدي العابثة ، وقد أنقذ تدخل هذه المنظمة عدة دول من أن تكون فريسة لاعتداء مسلح ، ولم تنجح دولة من الدول في محاولتها لتغيير خريطة أي بلد ، أو محو شخصيتها القومية ، أو الثقافية حتى الآثار نالت عناية الأمم المتحدة ، وقد تدخلت الأمم المتحدة لوقاية عدة آثار تاريخية من الاندثار أو الاعتداء

وقد أدت هذه المنظمة هذا الدور المطلوب مدة من الزمن وأنقذت الدول التي تعرضت لتهديد الدول الكبرى ، ولمنع اعتداء بلد على بلد أنشئ مجلس الأمن لبحث الطوارئ ، ومنحت الدول الأعضاء الكبرى حق النقض لكيلا تتصرف دولة أو دولتان تصرفاً طائشاً .

إن هذه الإجراءات كانت تشير إلى تقدم العالم بتعاون سائر الدول بروح التكافل ، والتكامل ، وكان يرجى أن تتحقق أحلام بناة الحضارة الحديثة للوصول إلى عالم أفضل ذي رفاهية وسيادة وشرف يشعر فيه كل إنسان بأنه حر ، وأنه سعيد .

كان ذلك حلم بناة الحضارة المعاصرة ، وسار العالم المتمدن مدة على هذا الدرب المؤدى إلى هذا الهدف المنشود .

ولكن حدث انقلاب عالمي باسم نظام عالمي جديد ، أو باسم العولمة في العهد الأخير ، كان يهدف ذلك في الظاهر إلى إسعاد العالم ، ومعالجة مواطن الضعف في مختلف أنحائه بمساعدة الدول السعيدة فوقعت أحداث سريعة قلبت اتجاه العالم ، من السعادة إلى الشقاء ، و الحرمان ، وأثبتت هذه الأحداث أن هذا النظام يقصد سلب الحريات ، ويربط الدول الحرة في رباط واحد ، لتدور حول قطب واحد .

بدأ العالم يعود إلى عهد الاستعمار ، عندما فرضت عليه سيادة بلد أو بلدين ، أو حلفاء من الدول التي تملك الوسائل المادية الجبارة ،

ثم بدأ العالم يعود من عهد الاستعمار إلى عهد القرون الوسطى عندما تفرض عليه العصبيات الدينية والقومية والعنصريـة ، وتسـفك دمـاء المواطنين الأبرياء ، وتفرض عليهم حروب ، بأعذار سطحية تخسر فيـه الشعوب حريتها في العقيدة ، والعمـل حسـب العقيـدة ، وتخسـر فيـه حرية الملكية ، وحرية كسب العلم والرزق حسب رغبتـها ، وحلجتـها ، وتفرض عليه قوانين البطش ، والقـهر ، وتُمـارس وسـائل التعذيـب والتنكيل ، والإجراءات الوحشية البربرية ، والسـجن بـدون محاكمـة ، تحرق فيها الأحياء ، والمدن ، وتدمـر المصـانع ، والمسـاكن ، ولا تسـتثنى منها مدارس الأطفال ولا المستشفيات ، وتفرض فيها عقيدة ، وثقافـة ، وتطمس عقيدة وثقافة .

لقد فقدت الأمـم المتحـدة ، و وكالاتـها الـتي تضمـن حقـوق الإنسان والدول وسلامتها الإقليمية وزنها ، فلا توجد اليوم قـوة تمنـع المعتدي من الاعتداء ، وتحمي المعتدى عليه من التعرض للاعتداء ، إنه وضع أخطـر مـن وضـع القـرون الوسـطى ، فقـد كـانت في القـرون الوسطى دون عديدة تملـك عـدةً وعتـاداً ، وكـان فيـها رجـال يحملـون الضمائر الحرة ، مهما كانت عاقبة تعبيرهم عن ضمائرهم الحرة .

وقد أصاب من كتب في صحيفة إنجليزية ، أن عـدد دول العـالم اليوم يبلغ ١٩٤ دولة ، ولكـن في الحقيقـة هنـاك بلـد واحـد ، والـدول الأخرى ولايات أو مدن تابعة ، وكتب كاتب في مقال نشر في صحيفـة (The Times of India) أن بلداً واحداً وهي أمريكا تسيطر على العـالم كلـه إلا فرنسا ، التي لا تزال تقاوم هذه السيطرة العالمية ، إن المسـألة اليـوم لم تعـد مسألة الإرهـاب الإسـلامي ، وإنمـا تجـاوزت إلى حـد معانـاة الإنسانية كلها ، فإن عهد الرق والعبودية يخشى أن يعود ويغطى العـالم كله ، إذا تركت الأمور على مسيرها الطبيعي ، وللتدليل على ما سـبق نورد هنا ما كتبته الجارديان البريطانية ، وهي تشير إلى هذه الرجعـة إلى

العهد القديم .

"إن الوحشـية المـتزايدة والخـداع في حـرب العـراق يعكسـان التاريخ القريـب للإمبراطوريـة البريطانيـة ، وإن إعـادة نشـر القـوات البريطانيـة لدعـم هجـوم أمريكـي علـى الفلوجـة تشـير إلى العـودة لأسـلوب عصـر الاسـتعمار ، عندمـا كـانت الثـورات الشـعبية ضـد الاحتلال تقمع بالقوة السلحقة" .

وقد أفادت الأنباء ويجرى التحقيق حولها في بريطانيا أن الخسائر في الأرواح في العراق في الحملة الأخيرة بلغت أكثر من مائة ألف .

هذا ، عدا ما يجري في أفغانستان ، ومـا يتجـدد مـن تـهديدات للـدول الأخـرى ، ومـا يتخـذ مـن إجـراءات لسـلب حريـات الـدول المتحررة ، وتفرض عليها نظم التعليـم والاقتصـاد والسياسـة المغـايرة لطبيعة البلاد ، وشعوبها .

وفي هذا السياق يأتي بيان أستاذ جامعي أمريكي ، يسـير علـى خط بيانات الزعماء الصليبيين في عهد الحروب الصليبية ، وهـو يعـبر عن طبيعة التفكير السائد في أوربا ، فيقول الأستاذ ؛ الذي يدرس مـادة الإدارة في جامعة "امبريال" فالي كوليدج ، الواقعة في جنوب كاليفورنيا : إن استئصال الإسلام هو الطريق الوحيد ، لإنـهاء مـا أسماه بالإرهـاب الإسلامي ، وطبقاً للتقارير الصحفية ؛ قال : إن قتل جميع المسلمين هـو الأسلوب الوحيد لوضع نهاية للحرب ضد الإرهاب ، (رسالة الإخوان) .

إن هذا البيان وبيانات قادة إسـرائيل الـتي تـهدد بإبـادة جنـس كامل والإجراءات التي تتخذ لمكافحة ما يسمى بالإرهـاب الإسـلامي ، أكثر ضراوة عن بيانات وإجراءات رجل الحكم ، وقادة الفكر في عـهد القرون الوسطى ، وإن الإجراءات التي تتخذ ضد المتـهمين والسـجناء في سجون دول العالم المختلفة أكثر وحشية من إجراءات عهد القـرون الوسطى .

وكل ذلك يدل على أن أوربا اليوم بقيادة أمريكا بدأت تعود إلى عهد القرون الوسطى، وطبقاً للقول المأثور: الناس على دين ملوكهم، ظهر انعكاس هذه السياسة القمعية، والعصبية الدينية السلبية في أنحاء مختلفة في العالم، ومن أمثلة ذلك ما حدث في تايلاند فقد أفادت الأنباء بأن ٨٧ مسلماً قتلوا خنقاً وكسراً بعد حشر قوات الأمن مئات منهم بعضهم فوق بعض في شاحناتها، وذلك إثر مظاهرات احتجاجية قتل فيها ستة من مسلمي جنوب تايلاند، ومن ذلك رفض الدول الأوربية المتعصبة عضوية تركيا رغم نظامها العلماني المعاند للإسلام، في الاتحاد الأوربي لمجرد انتماء البلاد إلى الإسلام، ويدل كل ذلك على العودة إلى العصبية الدينية رغم كل دعاوى العلمانية والحرية الفكرية، وسار المستر لال كرشن أدواني رئيس حزب بهارتي جنتا حالياً، ونائب رئيس الوزراء و وزير الداخلية الهندي سابقاً على نفس الخط عندما صرح في بيان أمام أعضاء حزبه في رانشي: إن حزبه مرتبط بالدين، وإنه أداة مختارة من الإله لإخراج البلاد من مشاكلها الحاضرة إلى التقدم والازدهار، وقال المستر كليان سنغ: إن المسجد البابري لم يهدمه أحد وإنما كان الهدم عملاً إلهياً.

وعلقت صحيفة (The Indian Express) أن هذه البيانات تعكس طبيعة التصور الديني السائد في أوربا في القرون الوسطى

ويدل على هذا الاتجاه انتشار الإرساليات في العراق وأفغانستان وحمل الدبابات، والمدافع الصليب، وإجبار الناس على اعتناق المسيحية، وفرض الحظر على كل رمز إسلامي، وإغلاق سائر المنافذ وأبواب الدعم المالي للعمل الإسلامي، ويدل كل ذلك على العودة إلى القرون الوسطى.

***

طلعت كالربيع أنفاسها المسك

بقلم: الدكتور عدنان علي رضا النحوي

ملأ المجرمونَ ويحَهُمْ الأرْ
ضَ لهيباً و فتنةً من عَذابِ
ملؤوا الأرضَ زمجراتٍ وحُوشٍ
و فحيحاً بينَ الرُّبى و الشِّعابِ
الذئابُ التي عَوتْ! وضباحُ
من أفاعٍ و من عواءِ كِلابِ
أغلقَ المجرمون كلَّ سبيلٍ
لصلاحٍ و أوصدُوا كلَّ بابِ
ثمَّ شدّوا على الأيادي وثاقاً
و على أرجلٍ و فوق الرقابِ
أطلقوها على الورى و ثباتٍ
من أظافيرهم و عضّةِ نابِ
لا يُبالون لم تتاثرت الأرْ
ضُ شظايا من فتنةٍ و احْتراب
أو تراها تفجرتْ بدمٍ
ملأت كلَّ ساحةٍ و ترابِ
أو تهاوت تلك العمائر وانْهـ
ـارتْ على أهلها و فوق صحابِ
حَسْبُهُمْ شَهْوَةٌ و مُتعةُ رجس
ينهبون الأهواءَ أيَّ انتهابِ
روّع المجرمون في الأرض أهليـ
ـها و تاهوا على أمانٍ كذابِ
فامرحي يا ذئاب ما شِئْتِ عَوْي
و انْهشي أضلعاً وعضّي بنابِ
وانبحي يا كلابُ ما شئت جولي
روّعي الناسَ و ادخلي كلَّ بابِ
وانفُثي السمَّ يا أفاعي زُعافاً
في طعامٍ مُطيّبٍ أو شرابِ

و انفثي السمّ يا أفاعي اسكبيه
في عروق غفتْ و في أصلابِ
لك حق ! ويالها منْ حقوق
منحتْها شريعة منْ غابِ
أطْلَقَ المجرمون في الأرض زيفاً
من حُقوقٍ لِغاصبٍ نَهّابِ
ملؤوا الأرْض حُلكة من ظلامٍ
و هوى فِتْنَةٍ و دنيا خرابِ
ثمّ قالوا : حريّة و سلامٌ
و إخاءٌ من زخرُفٍ وسَرابِ
و دعاوى عدالةٍ كَذَبَتْ في السـ
ـاح في كل دعوةٍ وخطابِ
من يزيحُ الظلام عن هذه الأر
ض و يُزوي بمجرمٍ صخّابِ
إنّها أمة الرسالةِ و الحـ
ـقّ و عَهْدٍ مُوَثّق الأسبابِ
أمّة تَحْمِلُ الرسالة للنّا
سِ خشوعاً للخالقِ الوهّابِ
إنها خير أمّةٍ أُخرجَتْ للنّا
ـاس هَدْياً من سُنّةٍ و كتابِ
طلعتْ كالربيع أنفاسُها المـ
ـسك و طيبٌ يموجُ بين الروابي
و تراه يرفّ بين ظلال
و جَمال على الروابي مُذابِ
يُشْرِقُ النّصْرُ عِزّةً و سلامًا
من ثنايا ملاحِمٍ و ضرابِ
ها هُنا يُنشَرُ السّلام فَتَغْنى
كل ساحٍ بنَفْحةٍ من مَلابِ
ها هنا تلتقي الأُخوّة و العِدْ
ل و حُرّيّةٌ و صدقُ خطابِ
إنّه الحقُّ يَمْلأُ الأفقَ يسري
نورُهُ في تموّجٍ و انسكابِ
فاهنئي يا دُنا ! فما عاد مكرٌ
من شعارٍ و لا أمانٍ كذابِ

١- المسحة الأدبية في كتابات سماحة العلامة الندوي رح

قلم التحرير

صدر كتاب أدبي جديد في موضع الأدب الإسلامي بقلم سعادة الأستاذ الأديب الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي باسم : (المسحة الأدبية في كتابات الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي) وهو كتاب مشرق الديباجة عليّ المكانة ، ذو فوائد علمية وأدبية جمة ، وكان صدوره اليوم سداً لفراغ أدبي واسع ، ورداً لشبهات عديدة تُثار في موضوع الأدب الإسلامي .

تحدث عن الكتاب سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ؛ رئيس ندوة العلماء العام ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية ودول شرق آسيا ؛ فقال : كان سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي مفكراً ، وكاتباً إسلامياً ، وداعيةً . وشغل حياته بأعمال فكرية ودعوية ، تدريساً وكتابةً وخطابةً ، ونشأ في بيئة دينية وعلمية وأدبية ، وتربى على حب الدين ونصرة الحق ، واكتسب من دراسته العلمية والأدبية ذوقاً جميلاً وبراعةً في التعبير والكلام ، واشتغل طيلة حياته بخدمة العلوم الدينية ، والتوجيه ، والدعوة والإرشاد ، واختار في سبيل ذلك أسلوباً رائعاً في الكلام ، وإن عمل الدعوة والتوجيه إنما يفتقر لنجاحهما وتأثيرهما إلى هذا المؤهل التعبيري أيما لغة كانت ، وظهر هذا المؤهل في كلام سماحته باللغة العربية والأردية كلتيهما ، وكان أكثر أعماله التأليفية في اللغة العربية ، فظهر هذا المؤهل في مؤلفاته في اللغة العربية بصورة أكبر ، ولقد اطلع على ذلك وعرف هذه الميزة في كتاباته عدد من العلماء والأدباء العرب حتى إن بعضهم أفردوا مقالات حول هذه

الميزة في كتابات سماحته .

ولما رأى بعض تلامدته عدداً من مقالات الباحثين في شخصيته في موضوع خصائصه الأدبية أرادوا أن يجمعوها في كتاب لتتضح أمام القراء ميزة سماحته في هذا المجال ، فبناء على ذلك قام الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء بجمع هذه المقالات الأدبية وترتيبها في هذه المجموعة ، وساعده في ذلك بعض تلاميذه النجباء ، منهم الأستاذ إقبال أحمد الندوي الغازيفوري والعزيز الأستاذ محمد وثيق الندوي ، فلهم شكر القراء وتقديرهم .

أرجو أن ذلك لن يخلو من فائدة علمية وفائدة أدبية كذلك ، بل يكون ذلك نبراساً للذين يشتغلون بالدعوة والإصلاح كتابة وخطابة ، إن شاء الله تعالى ، والله هو الموفق .

٢ـ أقلام واعدة

صدرت هذه المجلة تحت إشراف سعادة الأستاذ الدكتور محسن العثماني الندوي رئيس مركز الدراسات العربية ، بالمعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية ، في حيدرآباد (الهند) .

رئيس تحريرها الدكتور مظفر عالم ، المحاضر بمركز الدراسات العربية ، ومدير المنتدى العربي بالمعهد المركزي .

يصدرها طلاب مركز الدراسات العربية بالمعهد المركزي للغة العربية واللغات الأجنبية ، كمجلة سنوية ولسان حال لهم للجهود الأدبية العربية التي يبذلونها في مجال الأدب العربي .

ولقد صدّر رئيس تحرير المجلة بكلمة عرف بها المجلة : فيقول : إن مجلة "أقلام واعدة" التي أصدرها الطلبة هي فريدة من نوعها في طول الهند وعرضها ، حيث هي تمثل آراء وأفكار الطلبة في مركز

الدراسات العربية لهذا المعهد ، ولا جدال في أن عدداً ملموساً من المجلات والصحف تطبع وتنشر من علة جامعات هندية ولكنها بدون استثناء تقتصر إلى مساهمات الأساتذة وبحوث علمية وتعرض المقالات التي دبجتها أقلامهم في شتى الموضوعات ، ولقد حاول بعض المنتديات الطلابية إصدار مجلة عربية و لكن مساعيها لم تتكلل بالنجاح .

وهذه المجلة "أقلام واعدة" هي لسان حال المنتدى العربي التابع لمركز الدراسات العربية في رحاب المعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بمدينة حيدرآباد مدينة الحضارة الإسلامية العريقة في القدم .

إلى رحمة الله تعالى:

الأستاذ الدكتور نثار أحمد الفاروقي

في ذمة الله تعالى

لقد كان نبأ وفاة الأستاذ الدكتور نثار أحمد الفاروقي فجاءة ، صدمة كبيرة لجميع الأوساط العلمية والثقافية في الهند ، فقد كان أحد الأدباء البارعين في هذه البلاد ومن المؤلفين في تاريخ علماء ودعاة الإسلام في الهند ، ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة دهلي ، ورئيس تحرير مجلة : (ثقافة الهند) سابقاً ؛ الصادرة من المجلس الهندي للعلاقات الثقافية التابع للحكومة المركزية ، وذلك في اليوم ٢٨/من شهر نوفمبر ٢٠٠٤م ، المصادف ١٥/شوال ١٤٢٥هـ فإنَّا للهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ .

كان الراحل الكريم ينتمي إلى أسرة علمية دينية معروفة في بلدة "أمروهه" بمديرية "مرادآباد" (الهند) فكان قد تلقى العلوم الابتدائية والدينية في كتاب بلده على الأساتذة الكبار ، ثم جاء إلى دهلي عاصمة الهند حيث تدرج في العلوم والثقافة وحاز شهادة

الملجستير في الأدب العربي حتى عين مدرساً للغة العربية في جامعة دلهي ، ومن هنالك توسعت ثقافته وأعماله الأدبية فكانت له إسهامات في توسعة مناحي العلم والأدب والثقافة ، ومشاركة فعالة في عديد من المؤسسات والمجالس العلمية والأدبية ، وقد وُفق إلى كتابات في موضوعات عامية ودينية ، فحصل على ميزة البحث والتحقيق في منجزاته العلمية والثقافية ، وهكذا عاش مجالات مختلفة من العلم والثقافة والنقد والبحث والتأليف .

كان الفقيد من أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية ، فكان يواظب على الحضور في جميع نشاطاتها وندواتها ، وكان ذا صلة قوية بسملحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، وخلفه الصالح سعادة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي (حفظه الله تعالى) رئيس ندوة العلماء العام .

كانت وفاته مبعث أسف وأسى بالغين للجميع ، فقد كانت لنا به صلات علمية وأدبية منذ قديم ، وكان الفقيد معجباً بندوة العلماء ورجلها العظيم سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وكان يستفيد منه في كثير من إنتاجاته التاريخية التي كانت تتعلق بالعلماء الربانيين في الهند وخارجها ، إن الأستاذ الفاروقي تعتبر وفاته خسارة كبيرة في مجال العلم والأدب ، وقد حدث فراغ بوفاته ، ندعو الله سبحانه أن يشغله بمن هو أهله ، ويتغمده بواسع رحمته ، ويدخله فسيح جناته ، فإنه سميع مجيب قريب .

***

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

و بعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تابعونا من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم و مجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٩/عاماً بالاستمرار ، وقد دخلت الآن عامها الخمسين – والحمد لله – .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

بالعنوان التالي :
مكتب "البعث الإسلامي"
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – ص. ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص. ب٩٣ – مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – لكناؤ (الهند)

إعلان

مدبغة الهند العليا (الشخصية) المحدودة

(مؤسسة ذهبية للتصدير ، معترف بها لدى حكومة الهند) تأسست عام ١٩٤٦م
رقم التسجيل : آر ١٣٢٠/٩١

القائمون بالصناعة والتصدير

لصمامات الأمان / الوقاءات / الأحذية بمستوى ٣٤٥-١
جلود مدبوغة منجّدة للمفروشات والمقاعد الأوتوماتيكية

العنوان : ٣٨/٣٢، شارع جاجمنو ، كانفور – ٢٠٨٠١٠ (الهند)
هواتف : ٢٤٦٠٧١٦/٢٤٥٠١٢١/٢٤٦٣١٢١-٥١٢-٩١+
فاكس : ٢٤٦٠١١١/٢٤٥٠٣٩٧-٥١٢-٩١+
فاكس في المملكة المتحدة : ٦٩١٧١٦٨-٢٠٧-٤٤+
البريد الإلكتروني : info@upintan.com / upintan@vsnl.com
موقع الإنترنت : http://www.upintan.com